الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية والعلوم الإسلامية القسم: العلوم الانسانية
الشعبة: تاريخ. التخصص: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء
الرقم التسلسلي الرمز:

النشاط الدبلوماسي بين ملوك السودان الغربي (ملوك مالي و كاتم) وسلاطين بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 08 هـ/ 14 م وتأثيراتها في مختلف المجالات

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في التاريخ

إعداد الطالبين: إشراف:
بن عومر يمينة أ.د/ جلايلي احمد
محفوضي نعيمة

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د زين العابدين علي	أستاذ محاضر (أ)	رئيساً
أ.د جلالي أحمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً مقرراً
أ.د حالة خديجة	أستاذ محاضر (ب)	ممتحناً

الموسم الجامعي:1442-1443هـ/2021-2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية. أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

تصريح شرفي
خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

المرجع :القرار الوزاري رقم :933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد لقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): محفوظي نعيمة

الصفة :طالب، أستاذ باحث، باحث دائم : طالبة

الحامل(ة)لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 100514256

والصادرة بتاريخ : 2016.04.10 عن: دائرة فنوغيل

المسجل(ة)بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم: العلوم الإنسانية

المستوى: الثاني ماستر تخصص: إرشاد وتوجيه مدرسي

والمكلف(ة)بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:

مذكرة ماستر بعنوان: النشاط الدبلوماسي لبعثات ملوك السودان الغربي (ملوك مالي وكانم وسلطنات المغرب الإسلامي خلال القرن 11/08م وانموذجا) دخلة المحالات

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2022/05/22

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية .أدرار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية

تصريح شرفي
خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

المرجع :القرار الوزاري رقم :933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن عومر يعيشة

الصفة :طالب، أستاذ باحث، باحث دائم : طالبة

الحامل(ة)لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 110055104465

والصادرة بتاريخ : 2016-04-09 عن: بلدية فنوغيل

المسجل(ة)بكلية: علوم انسانية واجتماعية والاسلامية قسم : علوم انسانية

المستوى: ماستر تخصص: إفريقيا جنوب الصحراء

والمكلف(ة)بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:

مذكرة ماستر النشاط البحري بين ملوك السودان الغربي وملوك مالي وكانم وسلاطين بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 8ه/14م ونتائجه في مختلف المجالات

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2022/5/29

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أحمد دراية- أدرار
المكتبة المركزية
مصلحة البحث الببليوغرافي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University Ahmed Draia of Adrar
The central library

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): بابا عبد الله

المشرف مذكرة الماستر الموسومة بـــ: النشاط الدبلوماسي لملوك السودان الغربي حلوك صلاي و دورهم في مختلف العلاقات في المغرب الإسلامي خلال القرن 10هـ/16م وتأثيرها

من إنجاز الطالب(ة): بقاعو مريمة

و الطالب(ة): محفوظي نعيمة

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم : العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ المغرب قياطنوب الصحراء

تاريخ تقييم / مناقشة: 2022/6/12

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.
وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- امضاء المشرف:

ادرار في: 12/06/2022

مساعد رئيس القسم:

مساعد رئيس قسم العلوم الإنسانية
مكلف بمابعد التدرج والبحث العلمي
د . بابا عبد الله

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى "وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"

الحمد لله الذي هدنا بنور الإسلام والذي تواضع له كل شيء، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على توفيقه لنا، كما نتقدم بجزيل الشكر وخالص الوفاء إلى أستاذنا الفاضل "جلايلي أحمد" حفظه الله ورعاه على دعمه لنا من خلال التوجيهات والمساعدات التي قدمها لنا من أجل إتمام هذا العمل.

وأشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع وبارك الله في الجميع.

إهداء

الحمد لله الذي أنار لي طريقي وكان لي خير عون

أهدي نجاحي إلى ضياء أعيني إلى مستودع الرحمة، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، على من ألبستني رداء العفة، إلى محطة اعتزازي وفخري، إلى من ربت و سهرت أعطت بدون مقابل...إلى من لا يوجد عمل لإيفاء حقها...أمي الحبيبة الغالية، إلى من كلله الله بالهبة والوقار، إلى من علمني أن العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح إرادة والحياة عمل الى والدي العزيز الغالي، إلى من أمر الله ببرهما وطاعتهما.

إلى من قاسموني ظلمة الرحم، قاسموني المحبة، إلى عروق دمي إلى من أرى التفاؤل بأعينهم والسعادة في ضحكتهم إخوتي: "مبروك، سمية، حميدة، عبد الرحمن" حفظهم الله.

إلى الشموع التي تحترق لكي تضيئ للأخرين ، إلى كل من ناضل في سبيل غدا أفضل إلى كل من ينبض قلبه بحب الجزائر .

إلى كل من وسعته ذاكرتي ولم تسعه مذكرتي.

يمينة

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً كثير طيباً مباركاً

أهدي هذا العمل إلى نور عيني

والدي الغالي وأمي الغالية أسأل الله لهما الشفاء

وإلى من ساندني وكان شمعة تحترق لتضيء طريقي وأكن له مشاعر الحب والاحترام والعرفان (زوجي الغالي)

وإلى إخواني وكل أفراد عائلتي

وكل من ساهم معي في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد سواء بالعمل أو بالدعاء.

نعيمة

مقدمة

تعود جذور العلاقات بين المغرب الإسلامي وممالك السودان الغربي (مالي وكانم وبرنو) إلى ما قبل الفتح الإسلامي، حيث تأسست في الجنوب الغربي من الصحراء دول كبرى كان لها دوراً بارزاً في احتضان الإسلامي ونشره، بواسطة التجار ورجال العلم وكذا الحكام الذين أسلموا وحسن إسلامهم وقاموا برحلات الحج نحو البقاع المقدسة، على غرار حاكم مالي "منسى موسى".

ويعتبر القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي تأسيس دول وممالك إسلامية في منطقة جنوب الصحراء، امتدت من الحيط الاطلسي غربا إلى بلاد برنو شرقا ومن المغرب جنوب إلى المغرب الأقصى شمالا، كان لها تاريخ مضيئ، حيث انتشر بها الإسلام وازدهر العلم، وكانت أسبق دول إفريقيا السوداء إلى الحضارة والتقدم والثقافة. كما شهدت هذه الفترة ربط علاقات بين تلك الدول ودول الشمال الإفريقي، لاسيما في المجالات: السياسية والاقتصادية والديني والثقافي، وقد ساهمت المسالك التجارة في تنشيط العلاقات الدبلوماسية بين المنطقتين.

لذلك اخترنا موضوع "**النشاط الدبلوماسي بين ملوك السودان الغربي ملوك مالي وكانم وسلاطين بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م وتأثيراتها في مختلف المجالات**"، كموضوع للبحث، من أجل التعرف على تطور العلاقات بين دول المغرب وممالك بلاد السوان الغربي، ومعرفة أثر النشاط الدبلوماسي على العلاقات بين المنطقتين.

تتمحور إشكالية الدراسة حول: كيفية مساهمة السفارات والبعثات الدبلوماسية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي خلال القرنين (8هـ/14م) في تعزيز العلاقة في مختلف المجالات.

أتبعنا الإشكالية بالأسئلة الفرعية الاتية :

- كيف نشئت وتطورت دول المغرب الاقصى والادنى وممالك بلاد السودان ؟
- ماهي اهم السفارات التي قامت بها هاته الدول والمماليك ؟
- وكيف النشاط الدبلوماسي عليهم في مختلف المجالات ؟.

على ضوء هاته التساؤلات، قمنا بتقسيم الدراسة إلى مقدمة عاجنا فيها نطاق البحث واهميته والدوافع التي جعلتنا نختار الموضوع، وأتبعناها بالفصل الأول معنون بـ: "لمحة عن دول بلاد

المغرب الادنى والأقصى الدولة المرينية والحفصية وبلا السودان الغربي مالي وكانم"، يندرج تحته مبحثين: الأول- لمحة عن كل مملكة مالي وكانم ومن عاصرتها ببلاد المغرب (الدول المرينية والحفصية)، والمحث الثاني- فخصصناه إلى تطور السفارات بين المنطقتين. **أما الفصل الثاني**: "تأثيرات النشاط الدبلوماسي على الطرفين في جميع المجالات". فهو مكون من مبحثين: المحث الاول- تأثر بلاد السودان بدول المغرب. أما المبحث الثاني- تأثير بلاد المغرب ببلاد السودان.

أنهينا دراستنا بخاتمة تطرقنا فيها الى اهم النتائج المتوصل اليها، كما زودنا بحثنا بعدة ملاحق وقائمة للمصادر والمراجع وفهارس.

لمعالجة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي من جمع للمعلومات وترتيبها ووصفها وتحليلها.

وقد استعملنا في انجاز هذه المذكرة مجموعة من المصادر والمراجع التي كانت جد مهمة ومن بينها نجد: كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب" والمعروف "بالمسالك والمالك"، لأبي عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بكر، وهو من المصادر الجغرافية الهامة الذي وصف لنا مملكة مالي. وكتاب "السودان" لصاحبه عبدالرحمان السعدي، يحتوي على أحداث تاريخية مهمة، وتحدث عن دولة مالي ونهاية حكمها . من بين الصادر المهمة كذلك كتاب "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" لأبن بطوطة، حيث قدم لنا معلومات عن تاريخ السودان لغربي تميزت بالأصالة والدقة والوضوح. كذلك عدنا إلى كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون وقد احتوى في كثير من اجزائه عن معلومات عن تاريخ السودان الغربي تميزت بالدقة والوضوح . من بين الكتب المهمة كذلك كتاب "وصف إفريقيا" لحسن الوزان الذي ذكر الكثير من المعلومات عن الجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

استنعى بمجموعة من المراجع، مها: كتاب "دولة مالي الإسلامية " دراسة في تاريخ القومي والإفريقي لدكتور إبراهيم طرخان وقد تناول فيه دولة مالي منذ نشأتها إلى تدهورها وسقوطها. وكتاب" الإسلام والمجتمع السوداني " "إمبراطورية مالي" لأحمد شكري تناول في كتابه موضوعين الأول تاريخ الفترة التي سبقت قيام إمبراطورية مالي والثاني ركز فيه الحديث عن الإمبراطورية. وكتاب "التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا وراء الصحراء تحدث عن الحياة الاقتصادية والسياسية للإمبراطورية .

إضافة إلى ذلك فقد أفدت عن مجموعة كبيرة من المقالات والمجلات العلمية مثل مقال: رضوان هواري: التطور السوسيو اقتصادي في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط قراءة في الأسباب والعوامل. والسفارات المتبادلة بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال الفترة(3-9هـ/9-15م)،لمحمد العيد تيته .تحدثت عن اهم السفارات التي شهدتها دول المغرب الاسلامي مع بلاد السودان الغربي .

لقد واجهتنا أثناء عملنا عراقيل كثيرة تمثلت في: قلة المادة التاريخية التي أرخت لهذه الفترة، وكذلك صعوبة فهم الأحداث التاريخية وصعوبة التنسيق فيما بينها. ومن الكلمات المتداولة إمبراطورية، مالي، كانم، ممالك السودان الغربي، دولة الحفصية والدولة المرينية، منسى موسى، السفارات، الدبلوماسي.

الفصل الاول:

تطور العلاقات السياسية بين كلا من ملوك مالي

وكان ودول بلاد المغرب

المبحث الأول– لمحة عن كلا من: مملكة مالي وكانم ومعاصرتيهما للدولة المرينية والحفصية.

المطلب الأول– لمحة عن مملكتي مالي وكانم

أولاً: مملكة مالي: مملكة مالي تعرضت للعديد من الدراسات التاريخية وتعددت أطراف الحديث عنها وتنوعت ولكن لكل من المؤرخين رأيه الخاص ونظرته المستقلة، فنجد أن جغرافية مملكة مالي سواء من ناحية الموقع أو السكان وقد نالت نصيب الأوفر لدى الرحالة والجغرافيون المسلمين العرب في كتاباتهم وكل ذلك سنتناوله في العناصر اللاحقة.

1– أصل التسمية: اختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في كيفية ضبط تسمية مالي ورسم حروفها، فقد ذكرها البكري، باسم ملل[1]، وذكر الإدريسي بأنها عبارة عن مدينة أو قرية صغيرة من مدن لملم[2]، أما السعدي فأطلق عليها مل أو ملى[3]. وبالنسبة لابن بطوطة فقد سماها مالي[4]، وقد وضح القلقشندي كيفية نطقها الصحيح، إذ ذكر: **"مالي بفتح الميم وألف بعدها لام مشددة مفتوحة وياء مثناة في الأخير ، وهي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور"**[5].

اشتهرت مملكة مالي عند بعض العرب ببلاد التكرور، خاصة في مصر، وإن كان هذا الاسم في حقيقته يطلق على إقليم معين من أقاليم سلطنة مالي، ويتضح ذلك من خلال تسميتهم لملوك مالي بملوك التكرور[6].

وقد اختلفت وتنوعت تسمياتَ شعوب مالي، وذلك حسب اللغات ولهجات الشعوب والقبائل المجاورة لهم، ويسميهم الفلاني "مالي"، وبلغة البربر "مليت"، وباللغة العربية "ملل"، وبلغة

1أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب هو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص17.

[2]أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مج1، ص19.

3عبد الرحمان عبد الله بن عمران بن عامر السعدي: تاريخ السودان، مدرسة اللغة العربية، باريس ، 1981م، ص9.

4أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة: رحلة أبن المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، 1322، ص237.

5أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى ، دار الكتب الخديوية ، المطبعة الأميرية ، القاهرة، 1915م، ج5، ص282.

6جلال يحي : تاريخ إفريقيا الحديث المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ،1999م، ص32.

الهوسا "ونقرا"[1]. أما عن أصل اسم الماند نجو غير معروف على التحقيق، فهنالك من يقول انهم منسوبون الى مندي، وهو لفظ معناه المدينة أو العاصمة ، وبذلك فهم أهل المدينة أو أهل الحاضرة[2]، أما لفظ مالي بلغة المندية معناها: "حيث يعيش الملك"[3].

2.الموقع الجغرافي: قدم الجغرافيون العرب والرحالة تحديدا دقيقا للمملكة مالي، غير أن حدودها كانت ضمن البلاد الواقعة جنوب الصحراء، والتي جرت العادة عندهم بتسميتها بلاد السودان، وهي بلاد كثيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها الى أرض البربر، وجنوبها الى البراري وشرقها الحبشة والبحر المحيط من الغرب[4]، وتنقسم هذه المنطقة الى ثلاثة أجزاء، السودان الشرقي، والأوسط، والغربي، وبالنسبة لمالي فهي تقع في السودان الغربي[5]، تمتد هذه المملكة على أحد فروع النيجر في مسافة نحو ثلاثمائة ميل، متاخمة المملكة المسابقة في جهة الشمال.[6]

قد شهدت المملكة عبر مر العصور أتساعا ملحوظا، حيث قدر القلقشندي مساحة مالي نقلا عن الشيخ سعيد الدكالي بقوله: **"أن هذه المملكة مربعة ، طولها اربعة أشهر أو أزيد ، وعرضها مثل ذلك"**[7]. امتدادا من المحيط الأطلسي غربا الى البلاد برنو أي نيجيريا شرقا، ومن جنوب المغرب الاقصى شمالا الى ما يقرب من المحيط جنوبا[8]، وضمت المملكة في ايام عِزها اراضي الدول المعروفة الان باسم: السنغال، وغامبيا، وموريتانيا، بالإضافة الى جمهورية مالي الحالية[9].

1الطيب عبد الرحيم محمد الفلاني: الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الاسلامية وللتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث الكويت،1415هـ/1994م، ص255.

2حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي،ص106.

3جوان جوزيف: الإسلام في مملكة وإمبراطوريات أفريقيا السوداء ،دار الكتب الاسلامية دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ،القاهرة،بيروت،ط1404،1م،ص67.

4زكرياء بن محمد بن محمود القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ،بيروت ،ص24.

5صلاح الدين النجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،لبنان 1406هـ،1982 م،ص5.

6الحسن محمد الوزان الفارسي المعروف بليون الإفريقي :وصف أفريقيا ،ترجمة محمد حجي ،محمد الأخضر ،دار العرب الإسلامي ،ط1983،2،ج2،ص164.

7- القلقشمدي، المصدر السابق، ج5. ص78

8صلاح المنجد: المرجع السابق، ص5.

9 إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984م، ص240.

تتألف مملكة مالي من خمس اقاليم كل منها كان مملكة مستقلة ذاتيا تحت سلطة صاحب مالي او سلطان مالي:

- اقليم مالي: ويتوسط الامبراطورية وقاعدته بنبي او بمبا.
- اقليم صوصو الى الغرب من مالي في كانياجا .
- اقليم غانا غرب صوصو ويمتد الى سواحل المحيط الاطلسي ومناجم الذهب التي يقصدها تجار سيلجماسة وبلدان المغرب الشمالية
- اقليم كوكيا شرق اقليم مالي وقاعدته كوكيا التي تبعد مسافة شهر ونصف عن غانا غرب نيجريا الحاليا
- اقليم التكرر غرب اقليم كوكيا وقاعدته التكرور.[1]

2.تأسيس مملكة مالي:

أ– عهد ازدهار المملكة: يعود تأسيس مملكة مالي الى قبائل الماندنجو، والتي تمكنت من أن تسيطر ولمدة عدة قرون على مناطق السودان الشاسعة الممتدة من نهر النيجر الى المحيط الأطلسي، حيث اشتملت على مناطق نهر السنغال ومناطق كثيرة من نهر النيجر وفروعه ، وتدعي هذه القبائل لنفسها أنهم سودانيون في الاصل .[2]

وكانت مالي تمثل استمرار لمملكة غانا تحت حكم أسرة جديدة [3]، بحيث ارتبط دور تأسيس مملكة مالي بشخصية الملك سوندياتا كيتا 1235-1255[4] الذي عاش طفولته في ظروفه صعبة ، وعندما أصبح قادرا على السير تزعم أقرانه[5]، وتمكن هذا الأخير من ان يؤسس جيشا قويا ويقوده لقتال الصوصو وهم في الغالب من قبائل الفولانيين، وكانوا قد هاجروا من بلاد التكرور في غرب

---

1 يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، طبعة خاصة ، 2009م ، ص27.

2جلال يحي : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص32.

3فيج، جي، دي: تاريخ غرب افريقيا ، يوسف نصر، بهجت رياض صليب ، دار المعارف ، القاهرة، ط1، 1982م ، ص53.

4سوندياتا كيتا ، او ماري جاطة كما يقول ابن خلدون تعني بلغة المالانكة الملك الاسد ، اما كيتا فهو اسم العشيرة : نعيم قداح ، ص48.

5جعفر عباس حميدي، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1422، 2002، ص47.

إفريقيا وتقع اراضيها حاليا في دولة السنغال ، وينتصر عليهم في معركة كيرنيا [1] الى الشمال من كانغابا عام633هـ 1235م ، وألحق هزيمة نكراء بالصوصو وبذلك أعتبر حامي المسلمين وبطلا من أبطاله، وقد أخضع سوندایاتا وكان يساعده قواد عسكريون محنكون من جل البلدان التي كانت تخضع قديما لسيطرة غانا، وبدأ التوسع باتجاه الشرق وبعدها نودي رسميا بمنسا ،أي الإمبراطور ، ملك الملوك على أن يجري اختيار خلفه من ذريته وحدد حقوق كل عشيرة وواجباتها وكون حكومته من رفاقه ،بالإضافة الى قادته العسكريين[2]

قسم الملك امبراطورية الى منطقتين عسكريتين: شمالية وجنوبية، وعلى رأس كل منطقة عسكرية قائد يخضع لأوامره عدد منَ القواد وقوات الجند .[3]

قام "سوندایاتا" بتوجيه حملات عسكرية من عاصمته نياني، في اتجاه الغرب، ولم تلبث أن وسعت حدود المملكة بأن ضمت إليها منطقة حقول الذهب الكبرى، وتواصلت العمليات العسكرية حتى بلغت أسفل نهر السنغال ونهر جامبيا ومستنقعات التكرور، وبذلك أصبحت مالي أعظم ممالك السودان حيث شملت ولايات غانا الواقعة في أقصى الغرب. كانت مالي في هذا العصر غنية بالثروة التي تأتيها من حقول الذهب، وكانت في نفس الوقت بلدا زراعيا، لأن "سوندایاتا" كان يولي عناية خاصة للتنمية الزراعية فيها، وأنه هو الذي أدخل إلى البلد زراعة القطن، وغيرها من المزروعات كما أهتم بتربية الحيوانات[4].

بعد عشرين عاما من الحكم لقي "سوندایاتا" حتفه في سنة (125هـ 1256م)، بعد عهد ملئ بالانتصارات، تاركا وراءه مملكة واعدة ، وكان له الفضل في تأسيسها والتي كانت قبل أن يستلم مقاليد الحكم فيها عبارة عن إمارة صغيرة في إقليم كانجا، وأصبحت على يده مملكة قائمة بذاتها بعد انتصار كيرينا عام 1235م.[5]

1تعتبر معركة كيرينا هي البداية الحقيقية لقيام مملكة مالي الاسلامية لان هذه المعركة اظهرت قوة مملكة مالي الاسلامية : (ينظر، مقاديم عبد الحميد : المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي 2013،2016اطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، ص82.)

2احمد شكري :الاسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي 1230-1430، المجمع الشفافي، بوظبي،1999م ص181.

3جعفر عباس حميدي: المرجع السابق، ص48.

4إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب ، زيغود يوسف ، الجزائر ، 1983م، ص300.

5احمد طاهر: افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار العرفان، القاهرة، د.س.ن، ص72.

يعتبر عهد "منسى موسى"712-737هـ/1312-1337م وأخيه "منسى سليمان"[1] 741-761هـ-136/1341م المرحلة التي بلغت فيها مملكة مالي قمة ازدهارها وأوج عظمتها، وفيها عم الأمن والاستقرار كل الامبراطورية، بسبب انتظام المؤسسات الإدارية، واعتمادها في الحكم على رؤساء القبائل والاعتماد عليهم في ضمان الأمن ، مما سمح للقوافل والتجار بالحركة الواسعة وزاد واردات الحكومة، مما اعطها الفرصة لتكوين جيش قوي، اعتبر اقوى جيش في افريقيا الغربية كلها.[2]

ارتبط عهد القوة والإزهار بشخصية منسى موسى (1312-1337)، بحيث بلغت ملك مالي في عهده درجة كبيرة من القوى والثروة، وزيادة النفوذ، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا قرب سواحل المحيط الاطلسي الى مناجم انحاس في تكدة عند شرق النيجر، وامتدت من مناجم المنح في تاغازة في الصحراء شمالا الى مناجم الذهب ونقارة في الجنوب الغربي، وصارت حددوها الجنوبية مع منطقة الغابات الاستوائية[3].

ارتفعت سمعة مالي ارتفاعا عظيما وطبقت شهرتها الافاق، وأصبحت مدينة تمبكتو مركزا للتجارة والمعرفة، واشتهرت بوصفها المستودع الأساسي للتبر أو غبار الذهب، وتوجهت إليها التجارة من جميع الأنحاء، وقدم إليها التجار من بلدان عديدة، وأسهمت منتجات الذهب والملح والنحاس والكولا بدور بالغ في الاقتصاد المالي، فقد كانت تمتلك مناجم عديدة من الذهب مما جعلها أكبر منتج له في العالم القديم. ازدهرت الزراعة وتربية الماشية وكان الأرز يزرع في أودية نهر النيجر والسن والدخن في منطقة السهل كما كانت تزرع الفاصوليا والخضروات العديدة الاخرى[4].

1منسا سليمان: ولى الحكم في مالي بعد منسا مغا، منسى سليمان ابى بكر، حكم بين741-761هـ/1341-1360م، في عهده شهدت مالي حضارة راقية واتسعت الثقافة الاسلامية في كافة انحاء البلاد ، كان حريصا على بناء المساجد واقامة الشعائر ، وبعد وفاته ازدادت مالي ضعفا. (ينظر، مزري بسمة: الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين الخامس والعاشر هجري ، والحادي عشر والسادس عشر ميلادي: مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 2016-2017، ص11.)

2احمد شكري: المرجع السابق ،ص187.

3جلال يحي : المرجع السابق، ص35.

4جعفر عباس حميدي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ،ص48.

تعود عوامل ذلك الازدهار الذي عرفته مملكة مالي إلى أن الطريقة التي أتبعها حكام مالي منذ البداية كانت تعتمد على رؤساء القبائل بالدرجة الأولى، هما فتح جيش مالي منطقة إلاّ وعهد بإرادتها إلى العائلات الموجودة فيها من قبل، وكان الملوك يأخذون أبنائهم كرهائن، يبقون في قصورهم طيلة الفترة التي يكون فيها ابائهم في الحكم، ورأوا أنه بهذه الطريقة كانت القبائل لا تكاد تشعر بحكم أجنبي مباشر عليهم، فانعدمت الثورات والقلاقل في هذه الحقبة تقريبا، ولقد اجتهد حكام مالي في إقامة الأمن مما ساعدها على تكوين جيش قوى على الإنفاق على مختلف المشاريع بسخاء، فعمت شهرتها الافاق[1].

3.التركيبة الاجتماعية للمملكة: المجتمع المالي عبارة عن أُسر وعَشائر وقبائل، يقطنون قرى واقاليم يمارسون حياتهم العادية وفق اعراف وانماط معينة مستمرة، وكان يهيمن عليه نظام الطبقات، ويلتزم افراد كل طبقة بطقوس واعراف وانماط معينة لا يخرجون عنها[2]، وقد قُسم المجتمع المالي الى أربع طبقات، وهذه الطبقات هي:

أ –طبقة الملك وأفراد أسرته: الملوك لهم نظامهم الخاص في العيش، وزيهم مميز، فالملك يرتدي سراويل واسعة طولها عشرون نصفية لا يجرؤ أحد على لباس هذا الزي من الطبقات الباقية[3]، ويركب الملك الجياد العربية الاصلية ذات الأثمان الباهضة، التي تجلب له من الشمال الافريقي، وللملك مراسيم معينة في المناسبات والاعياد الدينية، ففي يوم العيد يخرج لأداء الصلاة مرتديا طيلسانا على راسه، يقتصر لبسه عليه شخصيا، وبعد صلاة العصر من يوم العيد يجلس السلطان على مصطبة معتدلة ويأتي كبار موظفي الدولة ودبابيس البلور، ويقف بمحاذاة راسه اربعة من الامراء [4]، في ايديهم حلية من فضة يطردون بها الذباب عن السلطان، ويحضر مترجم الملك معه نساؤه الاربع وجواريه المائة الى مكان الاحتفال مرتدين ملابس فاخرة ومتزينين بالذهب، ويعزف المترجم على الة

---

[1] قادري سهيلة : انتشار الاسلام في السودان الغربي ، مذكرة ليسانس في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة سعيدة، 2016م/2017م،ص27.

[2] الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من ق15إلى ق18 ، دار المصرية اللبنانية ، ط1، 1999م ،ص80.

3 شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001م، ج4، ص70.

4الهادي المبروك الدالي ،مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من ق13–15م دار الملتقى لطباعة والنشر دط.

مصنوعة من نبات القصبة يطلق عليها اليوم الناي، كما يحضر للاحتفال الشعراء الذين يعزفون بالجلاء مرتدين ازياء مضحكة[1]

ب. طبقة الفرسان: كانت تتألف من الفرسان والمنضمين اليها نتيجة لما بيديه الفارس من مهارة في ركوب الخيل، ومقارعة الاعداء، وفروسيته تحدد نوع لباسه، وهو يرتدي اساور ذهبية واذا زادت شهرته وفاق اقرانه فيلبس معها اطواقا من ذهب، واذا أبدع اكثر في الفروسية البسهم الملك سراويل واسعة من فوق وضيق عند الساقين، ويبدو ان هذا الزي اخذه حاكم مملكة مالي من قبائل صنهاجة وفي مقدمتهم قبائل الطوارق، ومن هنا ندرك ان هناك تأثيرا وتأثرا، يمثل هذا التكريم للفارس ما يعرف عندنا اليوم بالأنواط والنياشين والأوسمة العسكرية التي تمنح للجندي، والضابط الذي ظهر منه عمل يميزه عن اقرانه.[2]

ت. الطبقة العامة: تمثل اغلب المجتمع المالي وهي الطبقة العريضة من طبقات عامة الشعب وتتميز عن الطبقتين السابقتين في طريقة عيشها وزيها، فهي ترتدي ملابس تشبه الى حد كبير الزي العربي المغربي، والذي يتألف من عمائم وجبات ودراريع بدون تخريج، وعادة ما تكون مصنوعة من القطن ولونها ابيض ولهم مهارة في نسج الملابس التي تعرف عندهم بالكميصا[3].

ث. طبقة العبيد: وهي الطبقة المسحوقة التي تعمل دائما على التفاني في خدمة السادة والخضوع لهم.[4]

4. انتشار الإسلام في مملكة مالي: عرفت مملكة مالي الإسلام قبل دخول المرابطين في سنة 1056-1147) إلى غربي إفريقية، وذلك كله بفضل العلاقات التجارية القديمة بين شمالي القارة وغربيها، لما كان غربي القارة كله شبه مجموعة واحدة فلا بد من أن يكون للتجارة التي تقف أمامها الحواجز دور رئيس في تبادل الأفكار الجديدة الصالحة.

---

1 ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص70.

2كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي ، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة البشرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1978م ، ص103.

[3]محمود شاكر: مالي، المكتب الإسلامي بيروت ، ط2، 1453-1968هـ، ص12.

[4] الهادي مبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، من القرن 13 – 15 م ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، د.ط.

وعندما يتطرق الباحث لدخول الإسلام لدولة مالي يتبادر سؤال للذهن وهو: من أسلم من ملوك مالي ؟ وهنا يمكن تمحيص الروايات التي وردت بهذا الصدد حتى نمسك برأس الخيط . ففي رواية للبكري مفادها ان بلاد مالي اجدبت في عام من الأعوام حتى كاد الزرع والضرع بالهلك، مما دعا الملك أن يلجأ الى أحد الشيوخ المسلمين لما عهد فيه من الصلاح ، فصلى مع الملك صلاة الاستسقاء حتى هطل المطر، وذلك بعد أن طلب الفقيه المسلم من الملك أولا أن يسلم فأسلم، وحطم الأصنام وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون، فسموا ملكهم منذ ذلك الحين بالمسلماني.[1]

رواية البكري لا تذكر أسما للملك كما رأينا، وإنما أورد لنا قصة إسلامية، حيث ذكر أن مالي شهدت في سنوات متتالية، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى أرادو أن يفنونها ولا يزدادون إلا قحطا، وكان عند الملك ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكا إليه الملك، فقال له لو أمنت بالله تعالى و بوحدانيته، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وأمنت برسالته، واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج، علمه الفرائض والسنن وما يسعى جهله ثم أمهله إلى ليلة جمعة [2].

ومنه نلاحظ أن الاسلام لم يكن غريبا عندما أسلم هذا الملك فقد وضح لنا البكري أنه كان هناك أحد من المسلمين الذين كان يعلمهم القرآن ويعلمهم السنة النبوية ويقوم بنشر الدعوة الإسلامية وكان الانتشار الإسلام في أغلب الظروف لم يقوم على العسر وإنما قام على الإقناع وما ميز انتشار الإسلام هو دين فطرة بطبيعة سهل التناول.[3]

1مهدي رزق الله احمد: حركة التجار والاسلام والتعليم في غربي افريقية قبل الاستعمار واثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، 1419هـ-1988م، ص22.

2عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا 430-515هـ 1038-1121م ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت –لبنان، 1408-1988، ص22.

3ابي عبيد البكري: المصدر السابق، ص177.

ولقد كان الماندجو[1] مؤسسو مملكة مالي من أكثر شعوب غربي أفريقيا تحمسا الإسلام والدعوة له. وقد كان ملوك مالي في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي مسلمين واقترنت فتوحات مالي في شتى اجزاء غربي إفريقية بنشر الإسلام، وإقامة مؤسساته من مساجد ومدارس ،فضلا عن تشجيع الفقهاء والعلماء على ارتياد مالي للنهوض بالدعوة الإسلامية وللقيام بالتعليم. وتمتع العلماء المسلمون بمكانة في مالي، على أن مملكة مالي لم تكتف باعتناق الإسلام والحرص على تطبيقه وعلومه ،وإنما أخذت تدعو له بين الإحالتين في غرب إفريقيا ،حتى أن الدور الذي قامت به في نشر الإسلام يعد من أهم مراحل انتشار الإسلام في إفريقيا حيث أقترن بالدعوة إلى الإسلام[2].

5- مرحلة الضعف والتدهور: إن عهد الازدهار الذي بدأ باعتلاء "منسا موسى" عرش المملكة وأستمر زهاء نصف قرن سوف يعرف التراجع تدريجيا، وذلك منذ وفاة السلطان "منسا سليمان" 761هـ/، ومع مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي أصبحت الإمبراطورية تعاني من أزمة سياسية خانقة ولحقتها تهديدات الشعوب الخاضعة لسلطاتها، وباستقلال منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر عن مالي تداعت أركان المملكة وانكسرت شوكة الدولة .[3]

استمرت الاضطرابات والتنافس على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، اختطفت منها أراضي شاسعة في الشرق والشمال والجنوب، وأصبحت مملكة صغيرة بين ممالك الناشئة، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي تمكنت مملكة سنغاي -وهي أحدى الممالك الناشئة- من بسط نفوذها نهائيا على أرض مملكة مالي الشاسعة، وتقيم على أنقاضها المملكة جديدة.[4]

1الماندجو: هي قبائل مؤسسة لدولة مالي الاسلامية والتي سكنت في المناطق الواقعة بين نهر النيجر والمحيط الاطلسي في اعالي وديان نهر السينغال ،(ينظر، بشار اكرام جميل : مراجعة نقدية لآراء توماس ارنو لد عن الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء حتى القرن التاسع هجري و الخامس عشر ميلادي ، ص53.)

2محمد امين: ذكر مروى اربعة عشر قرنا على دخول الاسلام في افريقيا المؤتمر الدولي للإسلام في افريقيا، جامعة افريقيا العالمية ، جامعة الدعوة الاسلامية العالمية ليبيا، 6/7ذي القعدة 1427هـ/27-26نوفمبر2006 ، ص434.

3احمد شكري: المرجع السابق، ص194.

4جعفر عباس حميدي: المرجع السابق، ص57.

تطلع ملوك غاوا كذلك إلى توسيع نفوذهم على حساب مملكة مالي، فضموا إلى أملاكهم أراضي مالي الشمالية الشرقية، بينما نهب الطوارق مدينتي "تمبكتو" و"ولاتا"[1]. هكذا عانى سلاطين أسرة "كيتا" كثيرا من المصاعب الخارجية في سبيل تثبيت سلطتهم، وقد أرادوا أن يعوضوا عن فقدان المناطق الشمالية والشرقية من مملكتهم، فوجهوا اهتمامهم للمناطق الغربية في "غمبيا" وما حولها، ولكن المملكة كانت تسير من ضعف وتحول تاريخها إلى حوادث محلية ضيقة.[2]

ومن أهم عوامل الضعف الذي منيت به دولة مالي:

1ضعف كثير من الحكام.

2-هجمات الطوارق[3] المتلاحقة والمتتابعة والتي باستيلائهم على تمبكتو[4] وولاته وسيطرتهم على معظم مناطق مالي الشمالية

3-أعمال الغزو والتخريب التي كانت تقوم بها قبائل الموثية.

4-هجمات الفولانيين والتكارنة على بامبوك .

5-انفصال دولة سنغاي عن مالي واستقلالها حوالي منتصف القرن الثامن الهجري إثر هرب الرهائن علي "كولن وسليمان نار" من مالي و تأسيسهم مملكة سنغاي التي نجحت فيما بعد بالاستيلاء على مالي كلها وبسط سلطانها عليها.[5]

ثانيا- مملكة كانم

1- مملكة كانم في المصادر العربية: لقد ذكرت المصادر العربية مملكة كانم منذ القرن التاسع للهجرة /13م، لكن المصادر المحلية لتشاد قد ذكرتها في مصدر واحد وهو الديوان الملكي الذي

1أحمد شكري: المرجع السابق، ص194.

2نعيم قداح: افريقيا الغربية في ظل الاسلام، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ص58.

3الطوارق هو الاسم الذي يطلق على القبائل الملثمين في الصحراء الكبرى المنحدرة من قبائل صنهاجة البربرية في المغرب الاقصى.(ينظر، عمر الانصاري: الرجال الزرق الطوارق الاسطورة والواقع ، دار الساقي بيروت لبنان ، ط1 ، 2006، ص29.)

4تعتبر من اهم المراكز التجارية في مملكة مالي الاسلامية، ويرجع اصل اسم تمبكتوالى عجوز.(ينظر، محمد الفاجالون، الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة842-1000هـ/1464-1591م، رسالة ماجيستير في الحضارة والنظم الاسلامية ،كلية الشريعة والدراسات العليا التاريخية والحضارية ، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى مكة المكرمة ، 1413هـ-1993م ، ص84.)

5محمود شاكر: المرجع السابق، ص45.

سجل تاريخ الأسرة الملكية منذ السابع للهجرة/13م. وذكر بأنه: بشرق بحيرة التشاد عاش شعب تربطه بشعوب أخرى متفرقة على أرض صحراوية رابطة لغة واحدة وأصول واحدة، هذا الشعب يسمى بالكانم[1]. وذكرت الروايات الشفوية بأن نشأة مملكة كانم كانت حوالي 184هـ/800م، بعدما سيطر عليها الزغاوة وأصبحو ملوكا للأرض والمملكة. فحتى اليعقوبي الذي ذكر البلدان سنة 258هـ /872م ، ذكر بأنه في زمانه كانت مملكة الكانم تحت حكم شعب يدعى الزغاوة[2].

ويعتبر اليعقوبي أول من أشار الى مملكة الزغاوة وذلك في القرن 3هـ/9م ، أثناء حديثه عن الكانم، حيث ذكر ما نصه: **"أما السودان الذين غربو وسلكوا نحو المغرب، فإنهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم الزغاوة، وهم النازلون بالوضع الذي يقال له كانم، ومنازلهم أخصاص القصب، وليسوا بأصحاب مدن، ويسمى ملكهم كاكره ومن الزغاوة نصف يقال له الحوضيون ولهم ملك من الزغاوة"**[3].

عرفت مملكة الزغاوة أيضا بمملكة كانم، وهو المكان الذي يعيش فيه الزغاوة، وكانم تعني في لغة القرعان (الجنوب) أي أن كانم تقع الى جنوب من بلاد القرعان ويقول يقوت الحموي: **"كانم بكسر النون من بلاد البربر في أقصى المغرب في بلاد السودان وقيل كانم صنف من السودان وفي زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمي المشهود له بالإجادة ولم أسمع شيء من شعره ولا عرفت اسمه "**[4]

2- تأسيس ونشأة مملكة كانم –برنو479هـ-1262م/1086م-1846م. قامت هذه المملكة أو السلطنة في بلاد السودان الاوسط، الذي يتكون من حوض بحيرة تشاد وما يقع حولها من بلدان، تمتد من نهر النيجر غربا الى دارفور شرقا، وكانت بحيرة تشاد مهد سلطة الكانم والبرنو، وينقسم تاريخ هذه السلطنة الى عصرين: عصر سيادة كانم، ثم عصر سيادة برنو. تقع مملكة كانم

1اليعقوبي، المصدر السابق، ص149.

2نفسه، ص149.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص152.

4 ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص153.

8م-14م شمال شرقي بحيرة تشاد، تمتد من النيجر غربا الى منطقة الوادي شرقا وتضم جزء من بلاد الهوسا[1].

وذكر العمري على أن هذه البلاد بين افريقية وبرقة ممتدة في الجنوب الى الغرب الأوسط، ويرجع مبدأ هذه المملكة من جهة مصر من مدينة دالا وأخرها بلدة كاكا كما يذكر ديلافوس بأنه يوجد بشرق بحيرة تشاد شعب تربطه بشعوب أخرى لغة واحدة يسمى الكانم.[2]

تتمركز مملكة الكانم بين بحر الغزال وبحيرة تشاد في السودان الأوسط، وأرضها حاليا تمثل جزء من دولة تشاد وهي المنطقة الأساسية الأولى التي عرفت بها مملكة كانم، وتوسعت حدودها بعد دخول الإسلام حتى شملت مناطق جنوب غرب بحيرة تشاد، وما يعرف حاليا بمنطقة برنو.[3]

نشأت كانم كمملكة كبيرة في منطقة المراعي بين نهر النيل والنيجر، وكان موقعها مصدرا لثرائها، إذ كانت تسيطر على طرق تجارة القوافل المتجهة شمالا إلى فزان في ليبيا، وإلى البحر المتوسط وحوض النيل وأراضي واسعة في منطقة السودان الأوسط والسودان الغربي، وبسبب هذا الامتداد أصبحت تصنف ضمن ممالك غرب إفريقيا الإسلامية. وأصبحت المملكة قوية مثل مملكتي مالي و سنغاي بفضل التجارة، إضافة إلى طبيعة المنطقة التضاريسية إذ كانت خالية من العوائق الطبيعية، وأدى ذلك إلى استقرار الكثير من المجموعات التي مارست الزراعة والرعي، وتضاعفت العناصر البشرية بها وسكنها عرب من أولاد سليمان وبعض القبائل الأخرى، وهاجر إليها شعب الزغاوةمابين7م-750م وهم قبائل زنجية وحامية من شمال وشرق إفريقيا[4].

---

[1] محمود شاكر، التشاد، ط1، وزارة المعارف للملكة العربية السعودية ،1972م، ص38.

2فضل الله العمري، المصدر السابق، ص97.

3مصطفى علي بسيوني ،برنو في عهد الاسرة الكانمية ، رسالة ماجيستير في الدراسات الإفريقية ، إشراف أ. د احمد أحمد الحنة ، جامعة القاهرة ،معهد البحوث والدراسات الافريقية ،قسم التاريخ ، القاهرة ، 1976 ، ص1.

4إبراهيم عمر إلياس ، دور المجتمع في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في منطقة الكانم برنو ، قسم الدراسات العربية الاسلامية ، القاهرة ، ص2.

أسس مملكة كانم بنو سيف ذي يزن في النصف الأول من القرن السابع الهجري 7هـ والثالث عشر ميلادي 13م، وبلغت الإمبراطورية أوج قوتها وازدهارها في عهد السلطان ماي دوناما دايلامي الذي بسط نفوذه في الشمال حتى فزان وكانت جيمي قاعدة الحكم في مملكة الكانم.[1]

3-كانم في عهد الزغاوة: تأسست هذه المملكة حسب الروايات الشفوية سنة184هـ800م نتيجة سيطرت جماعة من الزغاوة على المجموعات الاخرى بفضل حيازتها على الاسلحة الحديدية، وفرضت سيطرتها على شعوب الزراعية والرعوية التي تعيش في المنطقة الواقعة جنوب شرق كوار بين بحيرة التشاد، وبحر الغزال في ارض النوبة بالإضافة الى الملك فونا، أرسو، كاتور، وغيرهم ولقد أقام هؤلاء الملوك علاقات دبلوماسية مع الدول الاسلامية في شمال أفريقيا مثل تبادل الهدايا مع الخلفاء الفاطميين، وعن طريق هذه العلاقات وصل الاسلام الى ملوك الكانم.[2]

كان أول ملك أسلم منهم هو: "لادسو" أو "أوسو"، ونجده في مواضع اخرى "حو" الذي لم يحكم الا أربع سنوات فقط، بين 459و463و171م، بينما بقي الشعب وثنيا، حيث بقيت العاصمة القديمة "مانان" تعج بالكفار، ثم جاء بعده الملك "عبد الجليل سيما" الذي حكم اربع سنوات أيضا بين46و467هـ/171و175م، ثم خلفه الملك "أيوما" الذي حكم عشرون سنة، ومن بعده "أركو" الذي حكم لمدة44سنة كاملة، وبوفاته ينتهي عهد حكم الزغاوة وبداية عهد السيفيين.[3]

4-مملكة كانم في عهد أسرة السيفيين: تنسب هذه الأسرة نفسها الى البطل اليمني "سيف بن ذي يزن" لذلك سميت بالأسرة السيفية، ومؤسس هذه الأسرة هو "هوماري"، وهو مشتق من "حمدأ" و"حمد"(1075و1080م)، وهناك دلائل تؤكد بأنه من أصل بربري لكن بشرته كانت

1نفسه، ص2.

[2] نور الدين شعباني : علاقات مماليك السودان الغربي وأثاره الحضاري بين القرن 5-9 هـ ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر، 2005-2006،ص 17.

[3]نور الدين شعباني، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الاسلامي وأثارها الحضاري بين القرنين الخامس والتا سع الهجريين ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2006/2005م ، ص18.

سوداء قاتمة[1]. رغم أنه ادعى النسب العربي اليمنى على ملوك السودان الاخرين في ذلك الوقت طلبا للشرعية فقد ذكر اين سعيد، أن: **"سلطان كانم ... هو محمد بن جبل، من سلالة سيف بن ذي يزن وكانتى عاصمة أجداده الكفار قبل دخولهم الاسلام هي مانان، وقد اسلم جده الرابع نتيجة لتأثير احد الفقهاء، وبعدها انتشر الاسلام في كل أنحاء كانم"**[2] .

بسطت مملكة الكانم سيطرتها على مدن إسلامية كانت قد سلمت على ايدي فقهاء وملوك الكانم، مثل سلطنة تجوة، ومملكة كوار، ومملكة فزان، وسيطرت على الشعوب البربرية الصحراوية المتمركزة شرقي جبل مقورس الفاصل بين الكانم وإمارة كوكو، والذين أسلموا على يد سلطان الكانم، يتخذهم عبيدا له ويغزو بهم وينتفع بجمالهم، وهكذا حققت مملكة الكانم انجازات كبيرة بفضل الملك "هوماي" الذي بدأت تظهر في عهده المعلومات التاريخية حول الكانم بورنو، والذي يتضح من حلال نص ابن فاطمة أنه هو من اتخذ (نجيمي) عاصمة جديدة للمملكة عوض العاصمة القديمة (مانان)، وجلب إليها العلماء والفقهاء الذين كانوا يترجمون القرآن ويعلمون الفقه ونشر الأفكار

السياسية التي كانت منتشرة بالمغرب الإسلامي. بعد وفاة هوماي خلفه الملك دوناما الأول وحكم خمسين سنة ثم (بير بن دوناما الذي حكم سبعا وعشرين سنة، وبعده (عبد الله بن بير الذي حكم سبع عشر سنة اللذان استطاعا ان يوطدا اركان المملكة وأن يحافظ على استقرارها وازدهارها[3].

وحسب الروايات الشفوية فإن الفضل يعود للملك "حمادي هوماي" في اسلام كانم، حيث يعد أول كانمي اعتنق الإسلام وذلك سنة 1085م، حيث بدأ يجلب إلى قصره منذ اعتناقه الإسلام الفقهاء المسلمين، كما قام ابنه "دوناما بن هوما"(1086-1140م) أدى فريضة الحج مرتين

1ديرك لا نجي ،ممالك التشاد وشعوبها ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام صادر عن اليونيسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م ، المجلد الرابع، ص248.

2ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى المغربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1982م ، ص94.

3ابن سعيد، المصدر السابق، ص101.

وتوفي وهو في طريقه إلى الحج في المرة الثالثة، كما أن هوماي نفسه توفي بمصر أي لأنه كان في رحلة إلى الحج[1].

أصبحت زوجات الملوك الرئيسية تتخذن من المسلمات، لكن الإسلام الصحيح لم يعمم لدى الطبقات العامة للشعب إلا منذ عهد "دوناما ديبالامي"(1210-1248م) وكان هذا الأخير ملكا مسلما مصلحا عظيما حج إلى مكة مرتين، وقام بتحطيم ضريح تابع للديانة الوثنية القديمة يدعى موني وهو ما سبب بعض الاضطرابات والاحتجاجات بسبب قداسة هذا المعلم ،وكان خلفاء دوناما من بعده متدينين أيضا فقد ساد العدل في عهودهم فاخذوا بالمذهب المالكي وتجنبوا الترف والبذخ[2].

المطلب الثاني– قيام الدولة الحفصية والمرينية بالمغرب الادنى.

أولا– الدولة الحفصية

1– أصل بني حفص ونسبهم: ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر، وهو من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة الذين بالجماعة وتضم أول من بايعه ونصره وكان يسميهم المؤمنين، ويذكر عبد الواحد المراكشي أن الاسم الحقيقي لأبي حفص هو (فصكة بن مزال) وأن المهدي بن تومرت هو الذي سماه بأبي حفص عمر[3]. وينتمي أبو حفص عمر إلى قبيلة هنتاتة[4] وكان له دور كبير في نجاح دعوة المهدي بن تومرت ثم دعم الدولة الموحدية في عهد خليفته عبد المؤمن بن علي إذ كان من أهل

1ديرك لا نجي، المرجع السابق، المجلد الرابع ، ص252.

2 نفسه، ص262.

3أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص48.

4هنتانة، من أعظم قبائل المصا مدة وأكثرها جمعا وأشدها قوة. (ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتداء في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، 1431 -2000، ج6 ص370.

الجماعة الذين بايعوه، وكانت له أدوار حاسمة في عهد عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف فقد كان مقدما عندهما وذا ثقة حتى أن عبد المؤمن كان يستخلفه على المغرب إذا خرج منه [1]

ترجع بعض المصادر نسب الحفصيين إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ذلك ما ورد في الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية حول نسب أبي محمد عبد الواحد فذكر: **"هو المولى أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عمر ابن يحي بن محمد بن والد بن علي بن محمد بن ولال بن باديس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه"**[2].

يقصد من وراء رفع نسب البيت الحفصي الى الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–هو اكساب الحكم الصبغة الشرعية و التميز عن سائر القبائل البربرية بالنسب الشريف، وما تجدر الإشارة إليه أن هذا الأمر لم يكن قاصرا على الدولة الحفصية وحدها وانما كل من عبد الواد وبني مرين سعوا الى إضفاء النسب الشريف على قبيلهم[3].

2 –ظروف تأسيس الدولة الحفصية: كانت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى (تونس حاليا) هي أسبق الدول التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية، فبعد أن كان الحفصيون مرافقين للموحدين ومساعدين لهم في الدفاع والحفاظ على دولتهم أقدم الناصر الموحدي سنة603هـ/1206م على إقطاع إفريقية وإسناد أمرها إلى عبد الواحد بن أبي حفص، والذي لم يقبل بذلك إلا بعد جهود كبيرة بذلت لإقناعه وشروط اشتراطها على الناصر الذي أعطاه مطلق التصرف في إدارتها، كي يستطيع

[1] جميلة مبطلة مسعودي : المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 661 هـ -893 هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي ، قسم الدراسات العليا والحضارية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1421هـ 2000م، ص 109

2أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ/1967م، ص130.

3جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ/وحتى سنة 839هـ رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1421هـ/ 2000م ، ص11.

القيام بأعبائها ويقضي على الفتن والثروات خاصة ثورة بني غانية التي اشتدت وطأتها في هذه المرحلة.[1]

ولعل قوة الشخصية "عبد الواحد بن أبي حفص" ومكانته عند قبائل البربر كانت وراء رغبة السلطان في إبعاده إلى إفريقية، خاصة أمام الرغبة الشديدة التي أبدتها حاشية السلطان محمد الناصر في ذلك، وما يدعم هذا الأمر هو عدم وفاء هذا الاخير لابن أبي حفص بالعودة إلى مراكش بعد إنهاء مهامه في ثلاث سنين، بل تصرف في شؤون افريقية تصرف الملك، وبقي على رأسها إلى غاية وفاته، أي أكثر من خمس عشرة سنة، وكان حكمها لها أشبه ما يكون بالحكم الذاتي خاصة أمام المسافة الكبيرة الفاصلة بين تونس ومراكش عاصمة الخلافة .[2]

إذا كان "أبو مدين بن أبي حفص" الأكثر قدرة وبراعة بين أقرانه لتولي أمر افريقية، ورعاية شؤونها، وضمان استمرار تبعيتها للدولة الموحدية أمام صعوبة الدفاع ودرئ المخاطر عنها، لبعدها عن مراكش مركز الموحدين، فكان ذلك السبب المباشر في تعينه واليا عليها، من جهة أخرى يمكن أن يكون لإقدام الناصر على هذه الخطوة دلالات أخرى، فالمرحلة الأخيرة من حكمه (603-610) (1206-1213م) تمثل مرحلة الضعف والاضمحلال للدولة الموحدية بصفة عامة، فقد يكون هذا العمل إثباتا على عجز الدولة عن إدارة رقعة ممتدة الأطراف متباعدة المسافات بمركزية مستحكمة، فلكي يتخلص من مشاكل افريقية وثوراتها التي أنهكت قوتها المادية والبشرية عين واليا على افريقية، بسلطات استثنائية جعلته واليا مستقلا بأمرها منفردا بسياستها، لكن من زاوية اخرى يمكن اعتبار تفويض الناصر أمر افريقية لوزيره وصهره "أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص" ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكما مستقلا بهذه الولاية، تمهيدا لانبعاث دولة جديدة في تونس بعد أن

1عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626-981هـ/1228-1573مرسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1412هـ/1991م، ص103.

2عبد العزيز الدولاتلي ، مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس، تونس، 1981م، ص59.

كانت تابعة للسلطة الموحدية في مراكش.[1]

3-المراحل الكبرى للدولة الحفصية: يرجع تأسيس الإمارة الحفصية بالدرجة الأولى إلى اختلاف مذهبي سياسي بين والي افريقية الحفصي والخليفة الموحدي "إدريس المأمون بن يعقوب المنصور"، الذي أعلن بطلان رسوم المهدي[2]، وأمر الناس في سائر الأنحاء باعتبار ذلك بدعة يجب تركها، وكان الهدف من هذا الإعلان هو تحطيم أسس الدعوة الموحدية. وقد أقدم المأمون على هذه الخطوة بعد أن دعا لنفسه بالخلافة وهو بالأندلس، وبعد أن بايعه أشياخ الموحدين رجعوا عنه ليعقدوها لخليفة آخر هو يحي المعتصم، ما دفعه للانتقام وذلك بالجوار إلى مراكش وهزيمته ليحي المعتصم وقتل مائة من الأشياخ الذين نكثوا بيعته ففتح باب الصراع حول النفوذ السياسي بين الخلفاء من أبناء عبد المؤمن وأشياخ الموحدين .[3]

بدأت هذه الدولة كإمارة مستقلة في عهد "أبي زكريا يحي الأول" الذي خلع طاعة ادريس المأمون وبايع يحي المعتصم سنة629م، فولاؤه للمأمون لم يكن سوى وسيلة لتولي الحكم في افريقية ومرحلة انتقالية اقتضتها الضرورة[4]، فحقق بهذا الخطوة الأولى نحو استقلال إمارته لتتحول إلى خلافة في عهد ولده "أبي عبد الله محمد المنتصر"، وبعد أن خرج "أبو زكريا" عن الولاء للدولة الموحدية شرع في تثبيت سلطانه، فتحرك صوب قسنطينة سنة 628هـ/1230م، ثم بجاية، وولى على المدينة حكاما من قبله، واكتملت سيادة بني حفص على افريقية بعد أن بويع "ابو زكريا: البيعة الثانية سنة 634هـ/1237م، وبعد مبايعة عدة مناطق من بلاد المغرب كبيعة أهل بلنسية سنة

1محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1406هـ/1986م، ص100.

2هذا إلى جانب وضع العقائد والنداء للصلوات باللسان البربري وإحداث النداء للصبح وتربيع شكل الدرهم . عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص381.

3نفسه ، ج6 ، ص389.

4ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1986، ص108.

636هـ/1239م وأهل مرسية سنة637هـ/1240م[1].

أشادت المصادر بظهور الدولة الحفصية منها ابن قنفد القسنطيني حيث قال: "من الله بالدولة العمرية وأنار بها الأفاق الإفريقية وحرك لانتشار كلمتها الملك أبا محمد عبدالواحد ابن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص فنشر ذكرها، وأظهر أمرها وخلفه ابنه الأمير أبو زكريا فزاد في محاسنها وبعد وفاة أبي زكريا الحفصي خلفه ابنه أبي عبد الله المستنصر 647هـ/1249م وتسمى بأمير المؤمنين بحر سنة 650هـ/1252م "[2].

وبعد استيلاء التتار على بغداد ومحو رسم الخلافة العباسية دحل شريف مكة وأهلها في الدعوة الحفصية، ومن أبرز ما يميز فترة حكم المستنصر لتونس الحملة الصليبية التي قادها ملك الفرنجه سنة 669هـ/1270م والتي انتهت بعقد الصلح وكان هذا الأمر آخر عهدهم بالظهور ولم يزالوا في تناقص وضعف إلى أن افترق ملكهم على حد قول عبد الرحمن بن خلدون، وكانت وفاة الخليفة المستنصر سنة 675هـ/1277م بعد اشتداد المرض عليه وخلفه ابنه أبو زكريا يحي الواثق675هـ/678/1277-1279م، ولكن فترة حكمه لم تدم طويلا بسبب تحكم الفقيه أبي الحسن يحي بن أبي مروان الأندلسي الذي انفرد بتدبير المملكة وهو الذي وصف بأنه كان عجولا غير مثبت في أرائه فتميزت الأوضاع بعدم الاستقرار ودخلت البلاد في هذه المرحلة في صراعات وانقسامات والصراعات ضد جيرانها خاصة بني زيان الذين حاولوا استغلال هذه الفرصة لتوسيع حدود دولتهم على حساب الجارة الشرقية.[3]

استمر الأمر على هذه الشاكلة إلى غاية فترة حكم أبي العباس أحمد سنة 772هـ/1370م حيث استرجع السلاطين الحفصيون سلطتهم على البلاد ويعتبر ابنه أبو فارس عبد العزيز الذي حكم

[1] إبراهيم جدلة ،المجتمع الحضري في العهد الحفصي ، منشورات وحدة المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات ، جامعة قفصة ، 2010،ص29.

[2] ابن قنفد القسنطيني، المصدر السابق، ص .108

[3] إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص29.

من بعده 796هـ/1394م أعظم سلاطين بني حفص حيث عرفت فترة حكمها تغيرا واضحا في الحياة السياسية للدولة وبدأت الأمور تسير نحو الاستقرار والوحدة وازدهار البلاد والرخاء والاطمئنان وعظمة الدولة واستمر الاستقرار إلى غاية عهد أبي عمرو عثمان الذي حكم إلى غاية 892هـ/1486م ومع نهاية حكمه بدأت فترة الانحطاط إذ تزايد تنافس الامراء على السلطة وكثرت الحروب ضعف الاقتصاد. [1]

لقد كان لأبا زكريا الحفصي دورا بارزاً في إرساء دعائم الدولة الحفصية، وفرض مكانتها على تراب المغرب الإسلامي، كونها وارثة قرطاجة والقيروان، وما انضاف إليها من نخبة أهل الأندلس من علماء وأدباء، مع حملة كل منهم من جديد في العلم والفن والصناعة، لتكون لها أدوار كبرى ليست على الصعيد السياسي فحسب وإنما في مختلف الميادين الثقافية والعلمية. [2]

ثانيا–نشأة الدولة المرينية بالمغرب الأقصى 668هـ/1269م.

1– اصل بنو مرين: بنو مرين من قبيلة زناتة وذكر صاحب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية نسبهم على الشكل التالي: **"مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن بدر بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن ابراهيم بن زكريا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحيا بن تمزيت بن ضريس، وهو جالوت ملك البربر، ابن رجيح بن مادغيس الأبتر، بن بر، بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عرب الأصل[3]**

1أبو العباس احمد الشماع الهنتاتي، مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام في رد القول بإباحة إغرام ذوي الجنايات والإجرام زيادة على ما شرع الله من الحدود والأحكام، تحقيق : عبد الخالق أحمدون، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، د سنة،ص69.

2 عبد الله حمادي ، دراسات في الادب المغربي القديم ، دار البعث ،الجزائر، 1406هـ/1986م، ص71.

[3] محمد عيسى الحريزي : تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني(310هـ-1213م)(869 هـ-1465م)، دار القلم ، القاهرة ، 1987،ص 03.

مع الإشارة إلى عدم اتفاق المؤرخين على تسلسل واحد لأجداد المرينيين ولعل مرجع هذا الخلاف إلى أن البعض يذكر الاسم الحقيقي للجد وبعضهم كان يذكر لقبه الذي كان يلقب به بين البربر وقد اشتهر هذا الأمر خاصة في زنانة ويؤكد اسماعيل بن الأحمر شرف جدبن مرين الأمير عبد الحق ورفع نسبه الى سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه.[1]

أما عبد الرحمن بن خلدون فلم يتردد في نسبة مجموع زناتة إلى الأمازيغ وقدم وجدوهم بأرض المغرب قبل أن يدخله أي عربي شريف النسب كان او غير شريف، وبهذا تكون الدولة المرينية قد اشتركت مع الدولتين الخفصية والزيانية في قضية ادعاء النسب الشريف لإضفاء القداسة على الأسرة الحاكمة.[2]

ذكرت المصادر أن بني مرين كانوا ينزلون بأنعامهم في الصحاري من قبلة القيروان إلى صحراء بلاد السودان لا يعمرون إلا القفار ولا يؤدون لسلطان بدرهم ولا دينار ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان، وكان طائفة من بني مرين يدخلون بلاد المغرب في زمان الصيف فيرعون أنعامهم ويكتالون منه ميرتهم وهذا ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون بأن بني مرين يسكنون بالفقر[3].(التهميش الابن خلدون) وذكر محمد بن مرزوق التلمساني أن بني مرين ملكوا من حد بلاد إلى ناحية المغرب فامتد ملكهم من بلاد تاهرت وأحواز تلمسان ثم امتد إلى ناحية المغرب.

يظهر من تضارب هذه الروايات التنقل الدائم لبني مرين، وهذا يرتبط أساسا بطبيعة حياتهم الرعوية القائمة على البحث عن الماء والمكلأ، فمن خلال ما ذكرته المصادر حول نظام الحياة في المجتمع المريني القبلي المتنقل لم يتفق المؤرخون على أماكن محددة لإقامة تلك القبائل لكن الواضح أنهم كانوا يقفون على مداخل المغرب الأقصى يراقبون ما يدور به من أحداث

1ابن فضل الله العمري، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من المسالك الأبصار في ممالك الامصار ، ضمن كتاب محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط3، ص194.

2عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج7، ص221

3 عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص221

2- التطور السياسي للدولة المرينية: كانت رئاسة بني مرين في أول أيام الموحدين لبني عسكر وكانوا يقنطون في تلمسان وعندما بدأ عبد المؤمن يكتسح المغرب الأوسط استعان على بني مرين بإخوانهم بني عبد الواد سنة54هـ/1145م، فنزلوا جنوبا إلى الصحراء ويعيشون عيشة البداوة والترحال وينتقلون خلال الربيع والصيف.[1]

بدأ ضعف الحكم الموحدي في المغرب الأقصى منذ سنة 615هـ/1215م، وتلاحقت بوادر الضعف الحكومي فقد انحسر نفوذ السلطة في المدن خاصة، حيث اعتصم بها الولاة الذين لم يعد لهم نفوذ على البوادي كما اشتعلت الثورات في كثير من الجهات وانعدم الأمن في الطرقات وظهرت المناكر بينما امتنع عامة الشعب عن أداء الضرائب[2]

فتفكير بني مرين في الدخول إلى بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها بصفة نهائية كان سنة 610هـ/1213م مستغلين الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة الموحدية خاصة تبعات هزيمة معركة الأندلس 609هـ/1212 وهذا ما تذهب إليه معظم المصادر التي أرخت للدولة المرينية. اما الحديث عن مرحلة القوة والعظمة، فهي تلك التي شهدت أعظم ملوك بني مرين في مقدمتهم ابو يعقوب يوسف الناصر (685-76هـ/1307-1386م) ثم أبو سعيد عثمان (710-732هـ/131-1331م) وإلى جانب فترتي حكم أبي الحسن علي (732-749م/1310-1348م)وابنه السلطان أبي اعنان الفارس (749-759هـ/1348-1357م) وقد شهدت هذه الفترة أعظم أجل الأعمال والمنجزات المرينية.[3]

فبعد أبي عنان تدخل الدولة في مرحلة الضعف في جميع المجالات فقد بويع أبو بكر السعيد 759-760هـ/1357-1358م) صبيا صغيرا، وكان أبو عمر تا شفين (762-

[1] إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين ، ج2 ، ط الأولى ، دار الرشاد الحديثة ، البيضاء ،1978 ، ص 11.

2ابن أبي زرع الفارسي ، الذخيرة السنية ، ص26 ، ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص11.

[3] إبراهيم حركات : نفس المرجع ، ص 25

763هـ/1360-1361م ضعيف العقل أما أبو زيان محمد 763-767هـ /1361-1365م فلم يكن له نفوذ يذكر وبويع أبو زيان الثاني 774-776هـ /1372-1374م طفلا لم يحتلم بعد، وأدى أبو سعيد عثمان 800-823هـ/1397-1420م طاعته لبني حفص وتميزت فترات حكم أولئك السلاطين بالضعف حينا والتبعية حينا أخرى، نستثني منها فترتي حكم كل من أبي سالم 760-762هـ/1359-1391م وأبي فارس عبد العزيز768-774هـ/1366-1372م.

ومع نهاية الحكم المريني تميزت الأوضاع بتعرض العديد من الملوك للحجز من قبل الوزراء وتدخل بني الأحمر في السياسة الداخلية للمغرب ووقوع أجزاء كثيرة من البلاد للاحتلال الأجنبي ودخول البلاد في مرحلة الصراعات والمؤامرات على السلطة.[1]

المبحث الثاني : السفارات المتبادلة بين دول المغرب وملوك بلاد السودان الغربي.

عرف منتصف القرن(7-9هـ/13-15م) ثلاث وحدات سياسية لعبت فيها السفارات دور هاما، بداية من المغرب الأدنى من برقة إلى بجاية خاضع للدولة الحفصية، والمغرب الأقصى خاضع للدولة المرينية وحدودها متغيرة حسب قوة وضعف الدولة، ثم يأتي المغرب الأوسط ممثلا بالدولة الزيانية والتي كانت حدودها من تلمسان إلى الحدود الغربية لبجاية.

المطلب الأول: سفارات ملوك كانم مع سلاطين الدولة الحفصية.

أولا – هدايا الملك دونمة إلى السلطان المستنصر:

حكم إفريقية خلال هذه الفترة الق 7هـ/13م الحفصيون الذين دأبوا في ربط عواصم التعاون مع بلاد السودان من خلال البعثات وتبادل الهدايا سواء من طرف الأسرة الحاكمة أو من طرف التجار، والتي أخبرتنا عنها المصادر، وخلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري في سنة 655هـ/1257م، وصلت هدية ملك الكانم بورنو دونما دوبلامي[2] (1221-1259) التي تقع ضمن أراضي السودان الأوسط، إلى السلطان الحفصي المستنصر 647هـ/1249م حيث نقرأ عن

1عبد القادر بو حسون ، الاندلس ،على عهد بني الاحمر ، النشر الجامعي ، تلمسان 2017هـ/1438م ،ص34.

[2] دونمه دوبلامي: يعد دونمه دبلامي من أعظم ملوك كانم وقد بلغت الدولة في عهده أوج قوتها وقام بجهوده في توسيع رقعتها كما ساهم في نشر الإسلام ومحاربة مظاهر الوثنية. (ينظر، عبد العزيز بن راشد العبيدي: انتشار الإسلام في بلاد الكانم- دراسة تاريخية، مجلسة دراسات إفريقية، العدد 46 د.س.ن، ص35.)

ابن خلدون ما نصه:"وفي سنة خمس وخمسين وستمائة وصلت هدية ملك كانم من ملوك السودان، وهو صاحب برنو مواطنه قبلة طرابلس، وكان فيها الزرافة وهو الحيوان الغريب الخلق المنافر الحلى والشيات، فكان لها بتونس مشهد عظيم[1].

إن سبب تطور هذه العلاقة بين الكانميين والحفصيين، يعود إلى تحالف ملك كانم ومساندته للسلطان الحفصي ضد خصومه وعندما قام الملك الكانمي بإعدام الثائر وهو أحد أبناء قراقوش عندما لجأ ومن معه إلى فزان[2].

ثانيا– دور وأهمية هذه السفارة المتبادلة بين الطرفين: عززت العلاقة بين الطرفين، وأصبحت حركة التجارة بين: طرابلس الحفصية وبلاد الكانم والبرنو، دائمة مستمرة بوصول التجار إلى فزان ومنها إلى البرنو وكانم حاملين معهم الهدايا للسلطان، والذي كان يسمح لهم بحرية الاقامة والتنقل في بلاده، وبعد أن يعطوه الهدايا كان أهل البرنو يستقبلون التجار بالحفاوة والترحاب، ويقيمون لهم الفنادق والحظائر لجمالهم[3].

كما عملت على نشر الاسلام في المنطقة، وتأثر حكام الكانم بالحفصيين، فقد اتخذ الماي دونمة بن دابال (1210-1248م) لقب أمير المؤمنين، فصارت عادة من بعده، وصاروا يلبسون –الحكام– المنسوجات المصنوعة في تونس وبخاصة الخز السوسي نسبة لمدينة سوسة، وقد صرح ابن سعيد بقوله "والثياب تحمل له من الحضرة التونسية"[4].

وبإقرار من ابن سعيد المغربي استمرت العلاقات الودية بين الدولتين حيث ذكر: **"ويليهم الكانم وهو خلق عظيم، والإسلام غالب عليهم...ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان،**

---

[1] بن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص417؛ روباربر نشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج01، ص76.

[2] عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص111؛ مريم محمد عبد الله جبودة: التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1972م)، إشراف أ.د سامية مصطفى مسعد، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي جامعة الزقازق، كلية الأدب، قسم التاريخ، مصر، 2008، ص113؛ روبار نشفيك: المرجع السابق، ص76.

[3] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص114.

[4] عبد العزيز بن راشد العبيدي، المرجع السابق، ص22.

وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية من أولها"[1]، وأصبح حكام هذه المملكة يسخرون إمكاناتهم في خدمة الإسلام والمسلمين، كما أنهم شجعوا العلماء للقدوم إلى بلادهم وأغدقوا عليهم الهبات وأرسلوا أبناء دولتهم للتعلم في العالم الإسلامي وشجعوهم على ذلك[2].

المطلب الثاني– سفارة ملوك مالي وسلاطين المريين والزيانيين

أولاً: تبادل السفارات بين ملوك مالي وسلاطين المريين: ترجع جذور العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي إلى فترات سحيقة في التاريخ نسبة لقدم الصلات السياسية والاقتصادية بين الجانبين، ويلاحظ أن ازدهار هذه العلاقة قد بلغ أوجه فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين)، وبالتحديد في عهد السلطان المريني (أبي الحسن بن عثمان 732-752هـ/1331-1351م) في فاس ونظيره السلطان منسا موسى (713-739هـ/1313-1338م)، الذي عرف أنه من أعظم سلاطين مالي على الإطلاق، وأيضا في عهد خليفة السلطان "منسى سليمان"، ولعل نشأة السلطان (أبي الحسن ابن عثمان) ونزعته الدينية جعلتاه يميل إلى توطيد علاقة بلاده بالسودان الغربي وغرب إفريقيا[3]. فهذه العلاقة خلقت عدة سفارات بين المغرب الأقصى ومالي، وكان هناك سبب لتطورها واستمرارها.

1–أسباب تطور العلاقة: إن السلطان المريني أبي الحسن كان يرى أهل السودان الغربي أنهم ليسوا أصدقاء فحسب بترابطهم به صلة قرابة ونسب ودم، علما بأن والدته من أصل زنجي، وهذا ليس بغريب لأن الامتزاج واضح بين هذه الشعوب، فعلى سبيل المثال، نجد أسرة (العروسين) منهم من يرجع في نسبه إلى سيد (أحمد العروسي) دفين ناحية الصحارة وكان مقيما بمراكش كذلك قبائل الوقيات التي تشكل نسبة كبيرة من سكان الصحراء المجاورة للمغرب[4].

---

[1] ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص95.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص 265-266.

[3] إبراهيم حركات: دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، **مجلة البحوث التاريخية**، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، يناير 1981م، ع الأول، ص27.

[4] عباس الجراري: ثقافة الصحراء، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1978، ص35.

رغم أن السلطان أبا الحسن المريني كان متعاطفا مع جيرانه الأفارقة فإنه كان حازما في فرض استتباب الأمن في ربوع دولته والذود عن حياضها. وقد تمكن بعد مقتل أخيه أبي علي صاحب سلجماسة من الزحف على تلمسان في عام 735هـ/1334م وانتزاعها من سطوة ابن تاشفين وابنيه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق ابن عثمان، الذين لاقوا حتفهم وكانت معركة تلمسان حاسمة ومشهورة[1].

2-السفارات المتبادلة:

أ-أول سفارة: إن هذه السفارة كانت بسبب حادثة تلمسان (737هـ/1337م) السالفة الذكر، بحيث كان لذلك الانتصار أثر كبير في توطيد العلاقات بين المغرب الأقصى ومالي، إذ بادر السلطان (منسا موسى) بإرسال وفد برئاسة (فرافقيس) من أهل مملكته وبرفقته مترجم من الطوارق الملثمين للتهنئة بالنصر المؤزر على فتح تلمسان[2]، وقد ذكر ابن خلدون ذلك بقوله "فأوفد عليه فرانقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين"[3]. واستقبل العاهل المغربي أبو الحسن هذه السفارة وأكرمها أحسن إكرام وأتحفهم بهدايا مغربية ثمينة[4].

إن هذه السفارة الرفيعة المستوى من خلال الوفد المكون لها، تدل على:

- حرص الملك منسا موسى على مخاطبة ود الدولة المرينية.
- كذلك حرصه على مد جسور التواصل الدبلوماسي الجاد
- كما أن إيفاد ترجمان مع هذا الوفد يبين لنا مدى تمتع الملك (منسا موسى) بقدر من الدبلوماسية والحنكة السياسية وإظهار كل معاني حسن الجوار والاحترام للمرينيين والبهجة والسرور

[1] أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب 1954، ج3، ص 124-125-126.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص266؛ الناصر، المصدر السابق، ج3، ص151-152.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص353.

[4] مزاحم علوي الشاهري: الحضارة العربية الإسلامية في المغرب(العصر المريني) مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2010، ص70.

لانتصاراتهم إضافة إلى ذلك ضمان استمرار حركة التجارة النشطة بين مملكة مالي ومراكز المغرب الأوسط، وتأمين خط التجارة بين توات وتلمسان المغربية[1].

ب–السفارة الثانية: جاءت هذه السفارة لتقديم التعازي للسلطان منسى سليمان إثر وفاة أخيه السلطان منسى موسى، وذلك عام 741هـ/1340م وقد وصل نبأ الوفاة أثناء وجود الوفد المالي بفاس وضمت هذه الوفود الملكية شخصيات مرينية بارزة ويخبر عنها ابن خلدون :"منهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عبد الحفصي وأوعز إلى أعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين، فستنفر لذلك علي بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل، صحبهم في طريقهم امتثالا لأمر السلطان"[2]. ووصل الوفد المغربي إلى مالي حيث قابلهم السلطان منسى سليمان وتقبل منهم التعازي وهدايا السلطان أبي الحسن المريني وشملهم برعايته وكرم ضيافته[3].

بالإضافة إلى ذلك تقديم التهنئة للسلطان الجديد، ونقل رسالة العاهل المغربي بمواصلة العلاقات الأخوية بين البلدين واستمرارها مع السلطة الجديدة بقيادة الملك منسا سليمان[4] .

ج–السفارة الثالثة: بعد أن ضم السلطان المغربي أبو الحسن المريني تلمسان، تشوف إلى إفريقية سلطان الحفصيين، وأراد ضمها إلى مملكته، وكان له ذلك يوم الأربعاء 8 جمادى الثانية من عام 748هـ/1338م، فبادر السلطان منسا سليمان إلى تهنئة أبو الحسن المريني فتحه الجديد[5]. إن الغرض من حملة أبو الحسن على إفريقية الحفصية ومن قبلها تلمسان الزيانية هو تمهيد الطريق أمام الحجاج المغاربة حتى لا يتعرضوا للمضايقات، وكذلك الرغبة في توحيد بلاد المغرب تحت سلطة سياسية واحدة[6].

---

[1] فريد عبد الرشيد المهندس: العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، المكتب العربي للمعارف، القاهرة 2017، ص134.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص353؛ الناصري: المصر السابق، ج3، ص152.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص353.

[4] أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي1230–1430م، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص274.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص353؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص152.

[6] أحمد الشكري، المرجع السابق، ص274.

تعرضت هذه السفارة للسلب والاعتداء بعد قيام أبي عنان المريني 749-759هـ/1348-1358م على والده السلطان أبي الحسن فذهبت السفارة إلى تونس لملاقاة أبي الحسن دون هدايا، برعاية أمير الزواودة يعقوب بن علي[1]، بعد لأن دخلت مدينة بسكرة قبل وصولها إلى تونس[2]. كان من بين أفراد تلك السفارة (الحاج موسى الونجراتي) الذي لقيه الرحالة ابن بطوطة في بلاد السودان[3].

د- السفارة الرابعة: كان من نتائج ضم إفريقية الحفصية والاضطرابات االتي عمت بلاد المغرب، أن تم الإقصاء الإجباري لأبي الحسن عن الملك من طرف ابنه أبي عنان عام 752هـ/1352م، فأصبح الابن يفكر في دراسة المسالك التجارية ومعرفة مناجم الذهب وحجم تجارته بين السودان ومصر وتحويل مسارها نحو الدولة المرينية[4]، فقرر العاهل المريني إرسال سفارة بقيادة الرحالة ابن بطوطة عام 753هـ/1352م[5].

هـ-رحلة ابن بطوطة: اهتمت هذه الرحلة بالجانب الاقتصادي، وركز أكثر على النواحي التجارية، فالمدن التي زارها تمثل المراكز التجارية التي تعج بالأسواق المليئة بمتاجر السودان، وقد أورد معلومات قيمة عن معادن السودان كالملح والذهب والنحاس، وتحدث عن جلب الأرقاء والخدم، وأوضح طرق المعاملة وأساليب التجارة كما أشاد بالأمن والاستقرار الذي تنعم به دول مالي[6]، كما بينت لنا الرحلة أن سبب إرسال السلطان أبي عنان لابن بطوطة هو اهتمامه بالتجارة، وبخاصة مع بلاد السودان

[1] نفسه، ص274.

[2] محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغير، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص355؛ أحمد الشكري: المرجع السابق، ص274.

[3] أمال سالم عطية: السفارات المتبادلة بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرن 7 و8 الهجريين(ق13-14م)، **مجلة القرطاس**، العدد الثالث، 2017، ص138.

[4] ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ج2، ص686.

[5] نفسه، ج.2، ص686.

[6] نفسه، ح.2، ص674-697.

حيث كانت البلاد في تلك الفترة 752هـ/1352م، تعاني من أزمة تجارية خانقة نتيجة الأمراض والاضطرابات[1].

وهناك من رأى بأن الغرض منها هو التجسس حيث ذكر ابن بطوطة في رحلته :"ثم وصلنا إلى حضرة فاس، حرسها الله تعالى، فوادعنا بها مولانا أيده الله، وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان"[2]، وقد اعتبر كثير من الباحثين من أن هذه السفارة الغرض منها التجسس على مملكة مالي من خلال معرفة مكتسباتها من مسالك تجارية ومناجم الذهب، الأمر الذي أدى إلى التشنج والتوتر بين الطرفين، وبالتالي أساءت إلى علاقات البلدين[3].

ز–السفارة الخامسة: بعد وفاة كل من السلطان أبي الحسن المريني 749هـ/1348م والسلطان منسا سليمان 762هـ/1360م وبالرغم من بعض الاضطرابات والمناوشات التي حدثت في عهد أبي عنان 759هـ/1358م، وحدوث الانقسامات والفوضى في مالي، فإن السلطان منسا زاطة أدجاطة 762هـ–776هـ/ 1360–1374م أعاد الاتصالات وربط العلاقة بين مالي والمغرب الأقصى، وذلك من خلال انتهاج سياسة أسلافه في دعم هذه العلاقة[4]، وفي هذا الصدد أرسل السلطان منسا زاطة أرسل إلى العاهل المغربي الجديد السلطان أبي سالم المريني 735–762هـ/1335–1361م هدية وهي عبارة عن زرافة ضخمة غريبة الشكل وكان يوم وصول هذه الزرافة رفقة الوفد المالي في صفر 762هـ/1360م يوما مشهودا، حيث استقبل العاهل المغربي الوفد ومعه الهدية في مكان مرتفع يعرف ببرج الذهب تحفه أعداد ضخمة من مواطنيه مهللين ومنبهرين من هذا الحيوان الغريب الذي لم يألفوه من قبل[5].

---

[1] مصطفى نشاط: البعث التجاري في رحلة ابن بطوطة إلى السودان الغربي، سلسلة منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، مطبعة الطبرس، ينة 1996، ص255.

[2] أحمد البكري، المصدر السابق، ص277.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص411.

[4] محمد السالك: فوائد من غابر الأخبار، ورقة17؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص300.

[5] محمد السالك: المصدر السابق، ورقة17.

أما وفد مالي، فقد قابل السلطان المريني أبا سالم باحترام بالغ 735هـ-1335م، إذ وضع جميع أفراده التراب على رؤوسهم تحية للسلطان على عادة الأفارقة في تحية ملوكهم فقبل السلطان أبو سالم المريني الهدية وأكرم مثوى الوفد وأحسن ضيافته[1].

تعد السفارة المتبادلة بين الملك زاطة 762-776هـ/1360-1374م والسلطان أبا سالم المريني 735-762هـ/1335-1361م آخر حلقة من حلقات العلاقات الدبلوماسية بين مملكة مالي ومملكة المرينيين، نظرا للمشاكل الداخلية التي تخبط فيها كلا الجانبين، ولم يعد كل بلد يبحث عن توطيد العلاقات واستمرار في تدعيمها[2].

كما يتضح لنا من خلال هذه السفارات رغبة ملوك بلاد السودان في توطيد العلاقات الدبلوماسية مع الدولة المرينية، حيث شهد عهدا "منسا موسى" و"منسا سليمان" مع حركة حثيثة في إرسال وتبادل السفارات مع سلاطين المغرب المريني خاصة في عهد السلطان أبي الحسن المريني بحيث وصلت إلى أوجها، ثم تراجعت وتضاءلت مع خلفه السلطان أبي عنان بعد أن أرسل هذا الأخير الرحالة ابن بطوطة لتقصي ومعرفة مناجم الذهب وكذا مسالك التجارة، والتي اعتبرها الكثير من الباحثين سفارة تجسس أكثر منها سفارة لتوطيد العلاقات وتمتينها، وقد أحست السلطة الحاكمة بها فتوترت علاقتها مع ابن بطوطة، الأمر الذي جعله يصف منسا سليمان بالبغل[3]. ومع أفول نجم كل من المملكتين المالية والمرينية والمشاكل الداخلية التي تتخبط بها كل منهما، زالت السفارات والبعثات وتبادل الهدايا بينهما.

ثانياً- سفارة الدولة الزيانية

ارتبطت الدولة الزيانية كغيرها من دول المغرب الإسلامي بعلاقات ودية مع ملوك بلاد السودان ككانم وبرنو ومالي، حيث كان لهم معهم تبادل للهدايا والرسائل. إن جوهر العلاقات بين الزيانيين ومملكة مالي على الخصوص تجسدت عبر المسالك التجارية، وتدفق السلع بين الدولتين عن طريق توات التي لعبت دورا فعالا كمحطة تربط الشمال بالجنوب.

[1] عبد الهادي التازي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة 1973، ص77.
[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ج.2، ص695.
[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ج.2، ص696.

كانت هناك مراسلات بين السلاطين الزيانيين وملوك مالي[1]، وارتبطت حاجب السلطان أبي تاشفين[2] الأول هلال القطلاني، بالصداقة مع منسا موسى عندما بقيه في طريقه إلى الحج بالإسكندرية واستحكمت المودة بينهما[3].

إن جسر التواصل تجسد فيما اصطلح عليه بالوكالة التجارية التي لعبت دورا فعالا في تنشيط وتوطيد العلاقات بين البلدين، ويعد المقري الجد من بين الأوائل الذين أسسوا وكالة تجارية نظمت أعمال تجارة السودان[4].

- الهدف من هذه السفارة والقائمين بها

كان مركزها تلمسان الهدف منها الوقوف على التجارة وتنظيمها وتوفير وتأمين المستلزمات الضرورية للقوافل كالماء. وكانت هذه الوكالة ينظمها خمسة إخوة يقيم اثنان في تلمسان، واثنان في ولاته، والخامس في سجلماسة[5].

وزيادة على ذلك، فقد خاضت بعض العائلات التلمسانية ميدان التجارة مع بلاد السودان، نذكر من بينها عائلة العقباني وعائلة المرازقة[6] والتي كان لها نفوذ وعلاقات طيبة لدى سلاطين الدولة الزيانية وسلاطين المماليك السودانية الذين شجعوهم على ممارسة التجارة في أمصارهم، وقد أقر ذلك

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص152.

[2] يوسف بن تاشفين: أمير المسلمين، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللتوني البربري الملثم، ويعرف أيضا بأمير المرابطين وهو الذي بنى مراكش وصيرها دار ملكه، وأول ظهور هؤلاء الملثمين مع أبي بكر بن عمر الملتوني، فاستولى على البلاد من تلمسان إلى طرف الدنيا الغربي واستناب ابن تاشفين فطلع بطلا شجاعا شهما عادلا مهيبا وجيشه ملازمون للثام الضيق. اختط مراكش (465هـ/. ، (ينظر، شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985، ط03، ج19، ص253-254.).

[3] أمال سالم عطية: المرجع السابق، ص143.

[4] أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1958، مج05، ص205-206.

[5] بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والاقتصادية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، إشراف: أ.د عبد الحميد حاجيات، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ تلمسان، 2006، ص321.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ج.2، ص689.

ابن الحاج زيان الذي رافقه، والتقائه ببعض التجار التلمسانيين منهم الشيخ الرحالة عقبة، وابن الشيخ اللبن التلمساني ومحمد الفقيه، وكان هذا الأخير أحد المقربين إلى مجلس السلطان منسى موسى[1].

لقد أدت التجارة عبر نظام الوكالات التجارية التي تدعم العلاقات الدبلوماسية بأوجه أخرى والتي تجسدت عبر الطرق التجارية التي كانت تربطها مع ممالك السودان الغربي والأوسط، حيث قامت هذه الأخيرة بتنظيم التجارة المارة بين المحطات التي تفصل بين الطرق، وتأمين المستلزمات الضرورية للقوافل كالماء والغذاء.

[1] نفسه، ج.2، ص703.

الفصل الثاني: أثر النشاط الدبلوماسي بين الطرفين في مختلف المجالات

تحولت بلاد السودان من مناطق تجارية إلى مراكز للتعليم بسبب توافد العلماء والفقهاء، إضافة للتجار الذين استقروا في حواضرها كتمبكتو، جيني، غانة ... باعتبارها ملتقى الطرق ولقوافل التجارية لقد، نزحت جموع كثيرة من شمال إفريقيا ليستوطنوا نهر النيجر والسنغال، ومن بين تلك الجموع المتناثرة عبر القرون هاجر العديد من العلماء، فأسسوا المدارس لنشر العلم والثقافة الإسلامية، وكان جلهم يتولون منصب القضاء والإمامة، ومنهم من تفرغ للتدريس. فقامت بذلك في السودان مراكز حضارية ومدارس استقطبت العديد من علماء العالم الإسلامي وطلاب العلم والمعرفة، فأنتجت تلك المراكز علماء نافسوا علماء المغرب والمشرق كأحمد بابا التمبوكتي. وغيره من أفراد عائلته.

المبحث الأول: التأثيرات على بلاد السودان

المطلب الأول: المجال الاقتصادي والاجتماعي

أولا– المجال الاقتصادي:

1– المجال الزراعي: تمثل الزراعة إحدى دعائم الاقتصاد لسكان مالي إلا أنهم لم يولوا اهتماما كبيرا بها نتيجة لعدم ظهور طرق جديدة للزراعة ولا لأساليب الري بالإضافة لنقص الوسائل الفلاحية، حيث لم تعرف الزراعة انتشارا واسعا خاصة في مناطق التجارة ولن تكن هنالك طبقة من الفلاحين سواء على هيئة أفنان مرتبطين بالأرض. انتشرت الزراعة في المدن الواقعة على ضفاف الأنهار أكثر من المناطق الداخلية يعود هنا كون الأولى تتميز بخصوبة أراضيها مثل نهر غامبيا ، كامل مجراه مما ينتج عنه ترسب تربة خصبة على ضفافه، أما فيما يخص الوسائل التي اعتاد الفلاح على استخدامها في عمله فتميزت ببساطتها وتمثلت في المعرفة ذات المقبض الصغير، والسكين بالإضافة لإتباع الفلاحين في زراعتهم نظام الزراعة بالراحة.[1]

أما عن أساليب الري ففي بداية الأمر كان يتم السقي وتجسد هذا في الواحات الصحراوية وعلى ضفاف الأنهار نهر النيجر والسنغال، بالإضافة لاعتمادهم على الأمطار إذ يحرصون على

1الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص70.

الزراعة في المناطق الواقعة على ضفاف الأنهار ولكن نتيجة للخبرات الوافدة إلى المملكة التي أصبحت الأرض تستغل بصورة جيدة مما أدى إلى انتشار الزراعة في المناطق الجبلية والداخلية، هذا ما دفع بالفلاحين إلى تطوير أساليب الري فنتج عنه بروز عدة أنماط من الزراعة طبقا للمناطق فتوجد الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار، وكذا الزراعة الدائمة بواسطة الفأس والحفارة وهي تمارس في مناطة الغابات[1].

2-الجانب الصناعي: تربعت مملكة مالي على ثروة معدنية هامة عدت ركيزة لاقتصاد المالي كان في مقدمتها الذهب والملح والنحاس، وقد كانت الصدارة في هذه المواد الأولية للذهب ثم تأتي الملح والنحاس، فبالنسبة للملح كان يأتي بعد معدن الذهب في القيمة والأهمية ويرتكز في عدة مناطق والأشهر إنتاجا لهذا المعدن من تغازا ، وقد حدد القزويني موقعها على أنها تقع جنوب المغرب بالقرب من البحر المحيط وعليه تعتبر تغازا المعروفة بالملاحة[2].

أما النحاس فكان يأتي في الأهمية بعد الذهب والملح وذلك للحاجة الماسة إليه في الصناعات الحربية والزينة وصناعة الأواني وكان معدن النحاس يستخرج من تكندا بواسطة عملية الحفر، وعليه فكان لنحاس دورا كبيرا فبالإضافة لهذه المعادن السالفة الذكر عرفت المنطقة معادن أخرى منها معدن الحديد حيث هو من المعادن المهمة أيضا، ومناجمه منتشرة في السودان الغربي، وكذلك لبروز مواد أولية أخرى منها: معدن الرصاص والكحل والقصدير إلا أن هذه المواد لم تكن واسعة الانتشار، وكذا كان الشب والكحل حيث يعتبران من المواد الأولية فبالنسبة للشب فهو يعتبر أحد العناصر الأساسية في صنع الأصبغة، كما عرفت مملكة مالي الإسلامية نظاما صناعيا ويذكر حسن الوزان أنه بقرية مالي هنالك العديد من الحرفين والصناع في مدينة تمبكتو دكاكين كثيرة لهم.[3]

انتشرت المهن والحرف بشكل واسع في المملكة نتيجة لتوفرها على شجر الاباتوس، والخزف والفخار، حيث اهتم سكانها المملكة بصناعة الفخار وتشكيله، فصنعوا منه الأواني المنزلية فالأقداح التي يحفظ فيها الحليب وكذا صناعة الجلود، التي كانت تعالجها طائفة تسمى الإسكافين كما كانت

1ابن فضل الله العمري، مسالك، المصدر السابق، ج 4، ص101.

2 نفسه، ج.4، ص115.

3الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، دار العرب الإسلامي ، ط2، 1983، ص169.

الحداة التي راجت وحظيت باهتمام كبير في المملكة، وكذا حرف التعدين التي هي من أهم الحرف بالمملكة ويعزي ذلك لكون المعادن تمثل إحدى أساسيات الاقتصاد في البلاد.[1]

3- المراكز التجارية: أما فيما يخص المراكز التجارية في مالي فقد عرفت حركة تجارية ازدهارا واسعا ميز المملكة مما أدى إلى بروز العديد من المدن التجارية الواقعة على جانب الصحراء الكبرى، خاصة في المناطق التي تعبرها القوافل المارة بالصحراء وقد عدة بمثابة مراكز استقرار للذين كان من اختصاصهم نقل وتوزيع السلع والبضائع المختلفة أهم هذه المراكز:

أ- غداميس: هي مدينة تقع بليبيا لها حدود مع كل من تونس والجزائر في الجزء الغربي من البلاد على خط عرض 30.08شمالا وخط طول9.03شرقا، وترتفع عن مستوى سطح البحر 375مترا وتبعد543كيلومترا جنوب غرب العاصمة طرابلس ويقال عن غدامس مدينة القوافل لمحطتها الرئيسية من الزمن البعيد وتعد من أشهر المدن على خط التجارة بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى ولها علاقة تاريخية مزدهرة في التجارة مع تمبكتو في مالي.

ب- جاو: تعتبر من المراكز التجارية الهامة حيث موقعها على الضفة اليسرى لنهر النيجر متصلة بوادي تلمس المنحدر إليها من قلب الصحراء.[2]

ثانيا- المجال الاجتماعي: أما بالنسبة للحياة الاجتماعية كانت في مالي عادات وتقاليد تقتصر عليها ولا تمت للإسلام مثل الاختلاط بين الجنسين، وقد تكلم ابن بطوطة عن هذه العادات الغريبة أن أمرهم غريب، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينسب أحدهم الى أبيه بل ينسب لخاله ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه وأما البعض فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن، أما نساءهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن ومحافظون على الصلوات ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرون مع الزوج ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها والنساء هناك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال والأجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات

1 نفسه، ج.2، ص172.

2 القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص222.

وكذلك فإن لمالي عادات وتقاليد أخرى شرقية وإسلامية بصفة خاصة نقلت إلى مالي مع الإسلام ونتيجة للاتصال التجاري والثقافي بالعالم الإسلامي، ومنها ما يتعلق بأمور السلطة من شعار وجلوس ومواكب وجلوس ووسائل تسلية.[1]

أما التجارة فقد ساعدها موقع كانم في شمال شرق بحيرة تشاد، وبذلك فهي كانت تشرف على تجارة القوافل المتجهة نحو الجنوب، وكانت سيطرتها على كوار تدر عليها ارباحا طائلة من جراء تصدير الملح الى دول الجنوب، فكوار كانت من اعظم مدن الصحراء وفرة من حيث الملح كما سيطرت على واحات فزان مما سمح لها بالسيطرة على الطريق الاوسط الرابط بين طرابلس و كانم، والطريق الشرقي الرابط بين مصر-غانة —مالي، بالإضافة الى سيطرتها على الطريق المؤدي الى المغرب الاقصى المار بكانم[2].

أما السلع المتبادلة مع دول الشمال فهي تتمثل في العبيد أساسا، حيث يعد الرقيق أهم سلعة وأقدمها للكانم كما كانت القوافل المتجهة من كانم الى الشمال تحمل معها انياب الفيلة وريش النعام وبعض الحيوانات الحية، أما أهم سلعة مستوردة فكانت الخيول التي يستعملونها في الحروب، كما استورد الكانميون من الشمال القماش والملابس والاسلحة الحديدية وملك الزغاوة كان يرتدي الملابس الصوفية والحريرية القادمة من سوسة ، وأصدر سكان كانم القصدير والنحاس اما العملة التي استعملوها في مبادلاتهم فكانت مكعبات القماش القطنية.[3]

كما كان لبعض المدن التجارية دورا مهما في هذه السيطرة التجارية لمالي فكانت مدينة ولاته أولى هاته المراكز التي أسسها السوننكي المسلمون المعرفون بالونغازا، والجدليون مع بداية القرن السابع للهجرة هروبا من بطش الصوصو عندما قاموا بغزو عاصمة غانة كومبي صالح، وقد عرفت مدينة كوكيا نشاطا تجاريا كبيرا وخاصة خلال فترة حكم "منسا موسى"، حيث استفادة من موقعها على

1ابن بطوطة: المصدر السابق ،ج1و2، ص691.

2حميدي جعفر عباس: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، 2002، 1422. ص27

3 أبو الحسن علي بن موسى المغربي ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م، ص97.

ضفاف نهر النيجر وازدهارها في مجال الزراعة والصيد البحري، وكانت المعاملات التجارية تتم بطريقتين، فتلك التي تتم عن طريق المقايضة وهذا نظرا لندرة الملح في بلاد السودان لذا كان الماليون يقاضونه بالذهب فكانت حمولة الإبل من الملح المجلوب من تغازا تباع في ولاته مقابل عشرة إلى ثمانية وثلاثون مثقال[1].

ويبقى الذهب المعدن الأكثر أهمية في التعاملات التجارية وبسببه كانت القوافل القادمة من المغرب ومصر تقطع الصحراء الكبرى أما المعاملات الخارجية فقد كان تم بعضها بالعملات المختلفة كالدرهم والدينار وبفضل رحلة الحج التي قام بها منسى موسى والشهرة التي اكتسبها في القاهرة والحجاز فأن التجارة العابرة للصحراء قد ازدهرت خاصة بعدما أصبحت مالي معروفة أكثر في المغرب والمشرق الإسلاميين وأوروبا.[2]

المطلب الثاني– المجال الثقافي والديني.

أولا–المجال الدين:

عرفت مملكة مالي الإسلامية ازدهارا علميا وخاصة في عهد منسى موسى 712-737هـ/1312-1337موأخيه منسى سليمان741-761هـ/1341-1363م، ويبرهن على هذا الازدهار جامع سنكوري ومساجد تمبكتو التي كانت عامرة بأرباب العلم وما احتوته من مناهج علمية في التخصصات كما استطاع ملوك مالي ترك بصماتهم ولمساتهم الفنية والجمالية في المجال العمراني حيث تميزوا عن غيرهم من ملوك الاسلام وملوك إفريقيا في هذا المجال فأهل تمبكتو هم من وضعوا أسس الفن المعماري السوداني، وهو الفن الذي يجمع بين الطراز الإسلامي بالخصوصيات الإفريقية[3] .

[1] عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجرة، دار الشروق، بيروت ،1983،ص299.

[2] نفسه،ص299.

[3] البكري: المصدر السابق، ص37

كما كانت علاقات بين مالي والمغرب في الجانب الثقافي بدليل أن الكنكن موسى كيف أرسل لسلطان أبو الحسن المريني يهنئه باستلائه على تلمسان، ففي الوقت ذاته كان قد أرسل بالسفراء الدائمين إلى مدينة فاس وكانت العلاقات الثقافية مع المغرب في غاية القوة والازدهار بسب انتشار مذهب مالك في البلدين وامتدت علاقات مالي إلى الأندلس حيث أن منسى موسى استعان بأحد علمائها وهو أبو إسحاق الساحلي من أهل غرناطة في بناء القصور والمساجد. ويرجع له الفضل في إدخال فن البناء بالأجر في غربي السودان وكانت عناية أهل مالي بحفظ القرآن العظيم بحيث يجعلون لأولادهم القيود إذا أظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظونه ومن ثقافتهم أن أهل مالي يحتفلون بشهر رمضان وبالأعياد الإسلامية احتفالا كبيرا وكان السلطان المالي يخرج يوم العيد في أبهة لا يقل عن خروج خلفاء بغداد والقاهرة لذلك أتقن الكثير من الماليين حفظ اللغة العربية.[1]

مالي إمبراطورية عظيمة تتموقع في منطقة السودان الغربي وهي مترامية الأطراف وشهدت اتساعا ملحوظا وكان المجتمع المالي عبارة عن أسر وعشائر وقبائل لهم أعراف وأنماط معينة، ولهم نظام الطبقات تمتاز كل طبقة بطقوس معينة لا يخرجون عنها وقد أسس هذه الامبراطورية شعب زنجي أصيل هم قبائل الماندجو.[2]

بلغت الإمبراطورية قمة ازدهارها في عهد منسى موسى وأخيه منسى موسى سليمان وعم فيها الأمن والاستقرار بسبب انتظام المؤسسات الإدارية واعتمادها في الحكم على رؤساء القبائل نفسها وبموت منسى سليمان تدهور حال الامبراطورية لعدة أسباب منها ضعف كثير من الحكام

[1] أحمد شكري : المرجع السابق ، ص172.

[2] زوليخة عبد الرحمن ، -أسماء عبد الهادي ، مملكة مالي على عهد السلطان منسى موسى 1312-1337، مذكرة ماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ص 37

وأصبحت إمبراطورية مالي إسلامية ويرجع الفضل إلى العلاقات التجارية القديمة في شمال إفريقيا وغربها.[1]

عرفت مالي ازدهارا كبيرا بفضل القوافل التجارية التي كانت تأثيرها من المغرب ومصر لبيع منتجات هذه البلدان ولشراء التبر والعبيد، كما أن للإسلام الأثر البالغ في تنمية اللغات الإفريقية ونيسير التواصل بين مجموعات مختلفة من أبناء القارة ففي كنف الدين الحنيف تكونت وتنامت لغات جامعة هي إلى اليوم أوسع اللغات الإفريقية انتشارا وأرسخها قدما في تاريخ الإنسان الإفريقي ومن أشهر اللغات في إفريقيا الغربية نجد السواحلية ،الهوسا، الفلانية. [2]

كما كان للتجارة دور في إدخال الأفكار والأراء الإسلامية واللغة العربية لأن الأهالي ملوا الطقوس الوثنية وأرادوا شيئا اخر يملأ روحهم وعقلهم فوجدوا ذلك في الإسلام، ويعتبر عهد منسى موسى فتحا جديدا في نشر التعليم حيث أرسل بعثات دراسية للمغرب للدارسة وإنشاء مراكز التعليم اللغة والقرآن الكريم وبقية العلوم الأخرى، فأصبحت اللغة العربية لغة الحكومة والمراسلات الدولية ولغة التجارة إلى جانب اللغات المحلية.[3]

ثانيا–الجانب الديني:

كان الملك منسى موسى1312-1337 شديد التدين حريص على الصلاة وقراءة القرآن والذكر ورغم ذلك قليل العلم بشرائع الدين، لذلك كان يحرص على تعلم دينه واجتناب المعاصي التي كانت ترتكب عن جهل ،كما حرص هذا الملك على إرساء أسس ثقافة عربية إسلامية مزدهرة من خلال إرسال الطلبة إلى القاهرة والمغرب من أجل تطوير معارفهم العلمية ليوظفوها في خدمة هذه

[1] زوليخة عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص39

[2] زوليخة عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص40

[3] زوليخة عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص41

النهضة عند عودتهم إلى بلادهم ،فلقد وجدا في الجامع الأزهر رواق خاص بالطلبة والوافدين إليه من السودان .[1]

كما شيد منسى موسى مدرسة قرآنية إجبارية في العاصمة المالية نياتي وطبق على طلبة هذه المدرسة نظاما صارما وشديد القسوة ، وقد بلغ تعلق هذا الأخير بالإسلام وبأهله حدا جعله يطلب من شريف مكة خلال تواجده بها 724هـ/1323مأن يرسل إلى مالي اثنان أو أربعة من الأشراف المنحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته ليكونوا رمزا للمباركة التي حضي بها، إن المجهودات التي قام بها منسى موسى في سبيل نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية أكسبته مكانة دينية رفيعة لدى شعبه، فلم يعد مجرد إمبراطورية فقط وإنما تحول في نظر الشعب المندي إلى ولي من أولياء الله الصالحين، فلم يكتفي منسى موسى بانبهاره بالثقافة العربية الإ/سلامية والتأثر بها انطلاقا من تعلقه بالدين الإسلامي وكل ما يرتبط به من لغة وسلوك وثقافة وإنما أستطاع أن يدخل الإمبراطورية كلها في هذه الثورة الثقافة العربية الإسلامية رغم بعض الخصائص السودانية التي بقيت تميزها.[2]

المطلب الثالث: الجانب الثقافي لمملكة كانم

كانت بلاد كانم في ظل حكم الشيخ محمد الكانمي المدرسة العليا الممتازة والتي يبلغ عدد طلابها حوالي :200إلى 3000طالبا من الشباب يدرسون القرآن الكريم والكتابة واللغة العربية، مما يدل على عناية حكام كانم بالعلم والعلماء وطلبة العلم وكان الشيخ الكانمي يتمتع باحترام كبير لاعتداله وإحسانه وهذا ما سهل على أتباعه الامتثال له عندما أعلن الجهاد لحماية كانم برنو، وقبل ذلك ما قام به الشيخ للقضاء على البدع والخرافات الدخيلة على الإسلام وإعادة تنظيم المملكة ليجعلها متفقة بما جاء في الشريعة الإسلامية حيث ولى رجال مخلصين لمناصب القضاء والتعليم وكان

[1] زوليخة عبد الرحمن: مرجع سابق ، ص42

[2] شوقي عطا الله جمال، الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1988م، ص43.

حريصا على أن يكون الإسلام الدين الرسمي لكانم وعاصمتها كوكاوة[1]، رمزا للحضارة الإسلامية .

واتبع الشيخ الكانمي المذهب المالكي كغيره من علماء بلاد السودان ورغم دراسته في الأزهر الشريف فكان الشيخ مالكيا في حياته وتقاليده وتدريسه وتأليفه، ومن أهم كتب المذهب المالكي التي درسها الشيخ :كتاب القاضي عياض، وكتب سحنون، والشيخ خليل وكتب الشيخ المغيلي و الونشريسي، وموطأ الإمام مالك والمدونة، وتحفة الحكام والعباد.[2]

بعد وفاة الماي إدريس ألوما في عام 1603م تاركا مملكة واسعة المساحة متمتعة بالأمن، وبعده خلفه عدد من المايات الذين حافظوا على إنجازاته وواصلوا غزواتهم وحققوا انتصارات باهرة وحافظوا على ازدهار المملكة لبعض السنوات الثلاثة وخاصة في عهد خلفائه الثلاثة الأوائل وهم أبناؤه المادي محمد الملقب ب بوكالمارامي الذي حكم بين 1617و1632م ثم المادي ابراهيم 1632 1639، ثم الحاج عمر1639-1637مقبل أن تبدأ في التدهور بسبب ظهور امراء ضعاف وبداية الاعتداءات الخارجية وانتشار المجاعات .[3]

1-الجانب الديني لمملكة كانم: إن الإسلام في كانم على حسب رأي حسن الوزان إذ جاء في البيانات التي جمعها عن مملكة برنو أثناء زياته لها في رحلته المشهورة إلى غربي إفريقية في مطلع القرن السادس عشر، أنه كانت في بلاد برنو قبائل كثيرة لم تزل على الوثنية وتحيا حياة بدائية ، لا يعتنقون أي دين، لا مسيحية ولا إسلام لا يهودية، أو أي ديانة أخرى وحقيقة أن ملوك كانم قد بدأ دخولهم في الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي والخامس ميلادي، تؤيدها الوثائق وقد ذكر هذا المؤرخ أن أول بلد في غربي إفريقية دخلها الإسلام كانت بلاد برنو، وأن أول من جاء بالإسلام هو محمد

[1] كاوكاوة :هي بلد فسيح قرب كانم على ضفة بحيرة تشاد ونهر النيل، تقي الدين ، أحمد بن علي المقريزي : الذهب السكبوك في الذكر من الحج من الخلفاء والملوك ، تدقيق مال الدين شيال ، مقتبس الثقافة الدينية ، 1420، 2000م ،ص 142 .

[2] حسن الوزان ، المصدر السابق، ص41.

[3] عبد الرحمان زكي: الاسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، المؤسسة المصرية الحديثة ، 1961م ، القاهرة ، مصر، ص105.

بن ماني الذي عاش في برنو خمس سنوات في زمن الملك بولو وبعد مجيئ هذا الأخير أصبح الإسلام دينا معروفا على نطاق واسع ، ومجيئه إلى برنو مرتبط ارتباط وثيقا بحركة التعليم الإسلامي في برنو فقد كان داعية ومعلما[1]

ودراسة السلطان للقرآن كله بالإضافة إلى الرسالة في الفقه ولم يكن العالم محمد بن ماني وحده الذي حظي بتكريم السلاطين، بل استمر تكريم المايات للعلماء على مختلف العصور، ولم يكن ابن ماني وحده هو الذي اشتهر بالدعوة الإسلامية وبث التعليم الإسلامي في بلاد البرنو، وقراءة العديد من الكتب دليل واضح على مدى رسوخ التعليم الإسلامي في برنو وعلى مدى استعداد التلميذ الأمير أن يجلس إلى العالم لتلقي هذا العدد من الكتب الدراسية، حيث شيد الملك دوكو مسجد جميلا إكراما للشيخ عبد الله واقتناعا بتوجيهاته وطلاه بالجير وسقفه بالطين، وأقام الشيخ عبد الله إماما عليه وهذا المسجد يعد من معاهد التعليم في بلاد البرنو. [2]

كما يوجد بالعاصمة البرنوية أربعة مساجد لإقامة صلاة الجمعة ولكل مسجد جامع منها لقيام بمهمة الإمام في صلاة الجمعة ويحضر الصلاة في كل مسجد اثنا عشر ألفا من المصلين، دلالة واضحة على مدى اتساع المساجد في هذه العاصمة واتساع المدينة نفسها وانتشار الإسلام فيها ومما لاشك فيه أن صلاة الجمعة بهذه الكيفية تعد عيدا إسلاميا كبيرا .[3]

المبحث الثاني– تأثيرات العلاقات الدبلوماسية لبلاد السودان على دول المغرب

إن الصلات التجارية لدول المغرب الأقصى والأدنى بين السودان الغربي قديما ،فقد أشارت معظم المصادر التاريخية العربية الى ذلك، فبعد الفتح الإسلامي بدأ اهتمام المسلمين بالمسالك والطرق المؤدية لأفريقيا جنوب الصحراء لصلة التجارة .

[1] مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1419-1997م ص477

[2] علي يعقوب : الثقافة الاسلامية في مملكة برنو الإسلامية ، مجلة قراءات إفريقية ، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة إفريقيا ، العدد الخامس ، يونيو 2010م ، ص 24

[3] محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، د ط، هوداس دولافوس ، 1964، ص14.

فمنذ القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي ازدهرت الحركة التجارية ونشط قوافل المسلمين بين شمال القارة وغربها، فقد كان للعرب دور كبير في تنشيطها وتحولت المدن والقرى الموجودة في الصحراء وبلاد السودان إلى مراكز تجارية ومراكز علم وثقافة، ترد إليها السلع من كل مكان ويدخلها العلماء والفقهاء بجانب التجار. استمر التبادل التجاري ولم تنقطع صلة التجار المغاربة بأهل السودان.

تناول هذا المبحث علاقة تجارية والثقافية بين دول المغرب الأقصى وبين ممالك السودان الغربي مملكة مالي وكان.

المطلب الأول– تأثيرها في المجال الاقتصادي والاجتماعي

يعالج المطلب العلاقات التجارية التي قامت ما بين حواضر دول المغرب الأدنى والأقصى وحواضر ممالك السودان الغربي هذه العلاقات **تنوعت** وسائلها ةادواتها ومظاهرها لتعدد المراكز التجارية، والتى شملت اشهر الحواضر في المغرب الأقصى والأدنى .وفي ممالك السودان حواضر مملكة كانم والبورنو ومالي كما نلاحظ كثرة الطرق والمسالك التجارية ما بين المغرب الأدنى والأقصى وممالك السودان، والتي تأثرت بدورها بالعامل السياسي وتوفر أو انعدام المن وفي الأخير عرض لأهم المواد والبضائع التي كانت محل تبادل ما بين الأسواق هذا ما تناوله المطلب في المجال الاقتصادي.

أما في المجال الاجتماعي تم معالجة تأثير المغاربة بالأفارقة وقد تأثرت بشكل كبير بعاداتهم وتقاليدهم الى أن وصل بيهم الحال الى تكوين أسر وعائلات في بلاد السودان أي توصلوا الى ناتج وهو المصاهرة التي كان نتيجة الهجرة التي قام بيها المغاربة .

أولا– تأثر دول المغرب لأدنى ب مملكة كانم:

أثر انتشار الاسلام في منطقة كانم والبرنو تأثيراً إيجابيا علي النشاط التجاريي النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها بحكم ان الاسلام فتح أمامهم أبواب العالم الاسلامي، وباتصالهم بإخوانهم المسلمين كسبوا الكثير من المعارف منها فنون التجارة[1]، إلا ان العلاقة التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد وسبقت وصول الاسلام الي المنطقة بعد قرون[2]، بحيث هناك

[1] فضل كلود: الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية الكانم، طرابلس، كلية الدعوة الاسلامية، 1988، ص47

[2] بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ،ترجمة الهادي ابو لقمة ومحمد عبد العزيز ، جامعة قار يونس ،1998، ص'47

خمسة من الشباب انطلقوا من منطقة سرت واتجهوا جنوبا بهدف استكشاف مناطق وسط إفريقيا[1].

كما أدت الرسومات المنتشرة على الصخور والكهوف علي طول طرق لقوافل القادمة من فزان إلى منطقة بحيرة تشاد على عراقة الصلات التجارية بين المنطقتين ،فقد كان هناك طريقان يربطان منطقة الشمال الافريقي بواسط القارة يقع احدهما في الغرب ويخرج منا جنوب المنطقة التي بنيت فيها مراكش فيما بعد ويصل الي الى المنطقة النيجر الا على و يخرج من فزان حتى يصل الجانب الشرقي من انحاء نهر النيجر[2]

1- طرق القوافل بين دولة الكانم والدولة الحفصية: لعب الموقع الجغرافي دورًا كبيراً في تحديد مسارات القوافل التجارية عبر الصحراء حيث لرابطت دولة الكانم والبرنو بحكم موقعها الملائم للمغرب الادنى مع مناطق الشمال الصحراء بشبكة من الطرق التجارية منذو عصور قديمة فبعد دخول ألإ سلام الى مناطق شمال إفريقيا رئينا كيف سلك عقبة بن نافع في حملته على كاورا نفس الطريق تقريبًا ، ومن جهة أخرة فإن اتساع الصحراء وقلة المياه بها[3] قد حتم وجود مسالك معينة للقوافل التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة التشاد ، حيث ذكر لنا الاصطخري "وليس لها أتصال بسيء من الممالك والعمارات إوجه المغرب لصعوبة المسالك"[4]

2- **مراكز التجارة بين الدواة الحفصية ودولة كانم والبرنو:** إن الصحراء لم تكن يوم ما فاصلاً بين بلاد المغرب و مناطق السودان بل كانت جسراً ربط بين السكان في شمالها وجنوبها كما أنها لم تكن كما وصفها البعض بأنها ارض الجذب والفقر ، وليس فيها مفازات جافة رملية غير صالحة للسكن في أغلب الاحيان[5]، وكان من الطبيعي أن تجد القوافل التجارية بعض المراكز التي تستريح فيها وتتزود بالماء والزاد لمواصلة رحلتها الطويلة [6]

ان بعض المدن في الصحراء اشتهرت كمراكز اتصال بين شمالها وجنوبها كمحطات تجارية

---

[1] بوفيل، المرجع السابق، ص48

[2] ابن حوقل: صورة الارض ،بيروت، دلر مكتبة الحياة،1992، ص 100

[3] إبراهيم محمد الأصطخري: مسالك الممالك، بيروت ، دار صادر ، د ت، ص40

[4] انفسه، ص 40

[5] محمد سليمان أيوب: جرمة في عصر ازدهارها، جامعة قار يونس، بنغازي- ليبيا، 1968، ص 192

[6] الامين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن السادس عشرا لميلادي ،تجارة القوافل ودورها حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ،1984،ص 80

أمتهن أهلها التجارة واستفادوا من القوافل المارة بمنهم ، وكان من الاعمال التى يقوم بها أهل هذه المدن حراسة القوافل وتأجير أو بيع الجمال للتجار[1].

كذلك عمل البعض الآخر ألاء للقوافل التجارية حتى لا تضيع في طرق الصحراء ومن أبرز المدن التي اشتهرت كمحطات تجارية تمر بها القوافل بين بلاد المغرب ودل الكانم نذكر منها:

أ-**غدامس:** تقع غد على مسافة 500كم الى الجنوب الغربي من طرابلس، وتتمتع بموقعها الاستراتيجي ما جعلها مركزا تجاريا منذ العهد الروماني[2]، وفي العهد الإسلامي لعبت دوراً هامًا في تسهيل مرور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، خاصة وأنها تقع في مفترق الطرق التجارية القادمة من تونس الى طرابلس، وما يؤكد أهميها هو ما ذكره عنها بعض المؤرخين القدمي، حيث وصفها الوزاني بأنها منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة [3]، اما القزويني فإنه يتحدث عن الجلود الغدامسية ويصفها بأنها من أجود أنواع الدباغ لا شيء يفوقها في الجودة[4]، ومما يدل على اهتمام أهل غدامس بالتجارة وجود جالية كبيرة من أهل غدامس في تنمبكتو[5]، إذ أن موقع هذا المدينة جلها حلقة وصل ليس بين الساحل والسودان فقط بل لعت دوراً في الاتصال التجاري بين المغرب الادنى والاوسط بالتجار والقوافل التجارية على أرضها وانطلا منها [6].

ب-**غات:** تقع في الجهة الغربية من إقليم طرابلس وترتبط مع الشمال بغدامس لعبت هذه المدينة الدور الذي غدامس كحلقة وصل والشمال والجنوب والشرق والغرب بحكم مقعها القريب من المغرب الادنى والاوسط ،مما جعلها من المراكز التجارية المهمة التي تتلقى فيها طرق القوافل[7]، ومن جهة اخرى فان موقع مدينة غات في منتصف المسافة تقريباً بين طرابلس ومناطق بحيرة التشاد ونهر

---

[1] حسن الوزان : وصف إفريقيا، بيروت، دار الغرب الاسلامي،1983، ج.2، ص.146

[2] زكريا بن محمد القزويني :آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د ت، ص 57

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ص. 146.

[4] نفسه، ص57

[5] تنمبكتو: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء، وقد تأسست في القرن الخامس الهجري ، وقامت بدور كبير في المجال التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها، كما قامت بدور ثقافي كبير عن طريق جامع سنكري. (ينظر، محمد بن ابي بكر البرتلي : فتح الشكور في تراجم علماء التكرور، تحقيق الهادي المبروك الدالي: بنغازي دار الكتب الوطنية فيما وراء الصحراء الدار المصري البنانية،1998،ص297).

[6] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي و الاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ،الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص 297

[7] الإصطخري: المصدر السابق، ص40

النيجر، قد جعلها محطة مهمة لطرق القوافل للاستراحة، والتزود بالماء والزاد، فإن كانت المسافة بين طرابلس وكانو تقطعها القوافل في 125يوماً فإن المسافة بين طرابلس وغات تقطعها في 55يوماً[1]

ت-**زويلة:** تقع زويلة في الجنوب الشرقي من سبها وتبعد عنها بحوالى 170كم[2]، وقدلعب موقع زويلةالمتوسط دوراً كبيراً في ازدهارتجارة القوافل بين الشمال والجنوب حيث ذكر الاصطخري عا هذا الدور بقوله"وأما زويلة فإ نها من حد المغرب وهي مدينة وسطة لها كورة عريضة ، وهي متأخمة لأرض السودان"[3]

ان ما يدل على شهرة زويلة التجارية هو تواجد تجارمناطق بعيدة عن إفريقيا حيث ذكر اليعقوبي ان بها احلاطاً من اهل خرسان و البصرة والكوفة، كما اشهرت هذه المنطقة بتجارة الرقيق وتجارة الجلود[4]

ث-**مرزاق:** تقع الى الجنوب الغربي من سبها وتبعد عنها بحوالي 180كم [5]، وقد ساعدها موقعها المتوسط على أن تكون تكون إحدى المحطات الرئيسية في طرق القوافل ، حيث كان يمر بها الطريق الذي يبدأ من طرابلس حتى يصل الي منطقة بحيرة تشاد ، كذاك كان يمر بها فرع من الطريق الذي يبدأ من تونس الي غدامس وعند وصوله الى غات يتجه فرع منه الي مرزق

تمعت هذه المدينة ببعض الاستقرار السياسي [6]، حيث انتعشت الحياة الاقتصادية وازدهرت تجارة القوافل ، وأصبحت مرزق مصدراً لتصدير الحبوب، كما إمتلات اسواقها بالمنسوجات الحريرية والاسلحة والزجاج والعطور، كما نشطت تجارة الرقيق ، ويرى بارث ان صلة مرزق بالسودان الغربي عن طريق غدامس وتوات أكثر من صلتها بإقليم برنو[7]، كما يرى أن صلة مرزق بدولة الكانم والبرنو لاتقل عن صلتها بالسودان الغربي بحكم موقعها المتوسط الذي تمربه طرق القوافل من طرابلس إلى منطقة بحيرة تشاد[8]

---

[1] الحموي: المصدر السابق،ج3ص192

[2] احمد بن أبي يعقوب ا ليعقوبي: البلدان ، بيروت، داراحياء التراث الاسلامي، 1988،ص102

[3] الأصطخري:المصدر السابق، ص124

[4] يعقوبي المصدر السابق، ص104

[5] ابن بطوطة: المصدر السابق،ج2ص678

[6] ديرك لانجي:، ص257

[7] نفسه ، ص257

[8] نفسه، ص 257

هـ-**بلما:** تعد هذه المدينة عاصمة إقليم كاورا الذي يقع بين منطقة فزان بين منطقة بحيرة تشاد، وتعد هذه المدينة إحدى المحطات التجارية التي تمر بها طرق القوافل[1]

فوقوعها على الطريق الذي يبدأ من طرابلس وينتهي عند دولة الكانم قد اكسبها اهمية تجارية أدت إلي ازدهار هذه المدينة الى وصفها الحموي : سكانها بأنهم يلبسون ثياب الصوف ، وفي بلادهم أسواق ومياه جارية ونخل كثير"[2]

كما أكد الادرسي مرورالطرق التجارية الي بلاد الكانم بمنطقة كاورا وذكر بعض المحطات التجارية في هذه المنطقة[3] ، وقد أسهم أهل كاورا في تجارة القوافل وبإنتاج سلعة مشورة في السشب الكاوراري الذي يصفه الادريسي بأنه في غاية الجودو وهو كثلر الوجود، ويتجهز به في كل سنة الي سائرالبلاد بما لايحصى كثره[4]

هذه ابرز المحطات التجارية علي طرق القوافل بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو ،وهناك بعض المحطات الثانوية التي تمر بها القوافل مروراًعابراً مثل ودن سوكة وسبها وغيرها من المحطات الصغيرة ، ولعل ماميز المحطات الرئيسية انها كانت اسواق للتبادل والتجارة ومراكز لإنطلاق القوافل الى الشمال حيث بلاد المغرب او الى الجنوب حيث دولة الكانم والبرنو[5]

3- السلع وطرق التعامل التجاري بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو

من الطبيعي أن تأثر البيئة الجغرافية في طبيعة السلع المتبادلة بين المغرب ودولة الكانم والبرنو فالسلع التي تسوق من منطقة بحيرة تشاد تختلف عن السلع التي تجلبها القوافل من مناطق الشمال إلى هذه المنطقة، ومن هنا قسمنا السلع المتبادلة بين المغرب (الدولة الحفصية) والكانم والبرنو الي قسمين هما:

[1] الحموي: المصدر السابق،ص14

[2] الوزان: المصدر السابق، 176/2

[3] الإدريسي، ج1 : الرجع السابق، ص117

[4] الإدريسي، ج1 : الرجع السابق، ص117

[5] ابن بطوطة: المصدرالسابق،711/2

أ-**السلع المغاربية:** ويقصد بهذا المصطلح السلع التي تحملها القوافل من بلاد المغرب الادنى نحو دولة الكانم والبرنو، سواء اكانت هذه السلع من إنتاج بلاد المغرب أم كانت مستوردة من خارج إفريقيا عن طريق البحر[1].

ومن أهم السلع الملح والذي يعد بالنسبة للسودانيين من أهم السلع ولا تقل أهميته عن أهمية الذهب للمغاربة[2]، كذلك الخيول والاسلحة ، تعد الخيول من أبرز ما حرص مايات الكانم والبرنو على الحصول عليه من بلاد المغرب، وذلك لحاجاتهم لها في جيوشهم، ومما يؤكد اعتماد هؤلاء المايات على الخيول أن عددها وصل في جيش دونمة دبالمي(618-657هـ/1221-1258م) الى مائة ألف فرس[3]، كذلك الملابس وأدوات الزينة كان من بين السلع التي تستوردها بلاد الكانم والبرنو من المغرب ، كانت تصنع محلياً في بلاد المغرب أو يتم تصديرها إلى بلاد الكانم[4]

ب-**السلع السودانية:** يقصد بها السلع التي مصدرها بحيرة تشاد أومآ يتم جلبه من المناطق المتاخمة لها من الجنوب ومن أبرز أنواع التجارة التي أعتمد ت عليها دواة الكانم والبرنو: تجارة الرقيق، حيث هاجم مايات الكانم والبرنو المناطق المجاورة لهم من الجنوب للحصول على الرقيق، وقد وصف سكان هذه المناطق بأنهم من أكثر الناس نسلاً[5]، بالإضافة إلي الرقيق نجد مجموعة من السلع التي كانت دولة الكانم والبرنو تصدرها إلى بلاد المغرب من بينها الشب الكاوارى الذي يستعمل في أغراض الصباغة والدباغة[6].

كذلك العاج وهو احد السلع التي كانت دواة الكانم والبرنو تصدرها الي الشمال حيث ذكر بوفيل "أن التجار كانو يقيمون في ولاته لجمع العاج من سائر أقاليم السودان ويصدرونه إلي المغرب ثم الى

---

[1] ولاته: شيدت هذه المدينة في القرن الرابع الهجري، وهي اسبق في الحضارة من مدينة تمبكتو ، فكانت مركز إشعاع علمي في غرب افريقيا، وقد ارتحل اليها العلماء في عهد سني علي ملك سنغلي. (ينظر، البرتلي، المصدر السابق، ص 40)

[2] ماريون جونسون، تجارة ريش النعام، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس مركز دراسات جهاداللليبين،عدد1، يناير، 1981،ص133

[3] القلقشندي: المصدر السابق، ج5،ص 750

[4] الامين عوض الله: المرجع السابق ،ص80

[5] محمد سليمان ايوب ، المرجع السابق،ج2 ،ص 146

[6] عز الدين عمر موسى: طريق عبر الصحراء اللبية من المغرب الاقصى الى مصر،مجلة البحوث التاريخية، عدد1، يناير،1983، ص110

أوربا، هناك أيضا الجلود التي كانت ذات قيمة صناعية كبيرة في ذلك الوقت، حيث صنعت منه الأحذية وقرب المياه والسيول وسياط ألجمة الخيل[1]

هذه أبرز السلع التي كانت دولة الكانم والبرنو تصدرها إلي بلاد المغرب مقابل ما تحصل عليه من سلع قادمة من بلاد لمغرب، أما طرق التعامل التجاري فقد كانت تتركز على المقايضة، بحوالي 20عبداً كذلك يشير البكري إلي المقايضة في قوله "يجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية أفريقيا ومبايعتهم بثياب قصار حمر، ولا يعني هذا اقتصار العاملة التجارية على المقايضة بل عرف الكانميون التعامل بالودع والخرز كنوع من أنواع العملة، وكان الودع يجلب من المحيط الهندي على أيدي التجار العرب ثم ينتقل إلى وسط أفريقيا ،[2] ويذكر الوزان أن أربعمائة ودعة تعادل أوقية من الذهب، وظل الودع عملة معترف بها حتى القرن التاسع عشر[3]

يمكن القول أن موقع دولة الكانم والبرنو المتاخم للدولة الحفصية من ناحية الجنوب قد ساهم في ازدهار تجارة القوافل بين الطرفين، خاصة إذا لاحظنا عدم وجود مواقع طبيعية بين الدولتين، وان عملية التبادل التجاري بين الدولتين قد خضع لحاجة كل منهما لسلع الدولة الاخرى ، حيث صدرت دولة الكانم والبرنو البضائع التي تنتجها وتحصل عليها من اواسط افريقيا، بينها حملت القوافل التجارية البضائع التي تنتجها بلاد المغرب الادنى او تستوردها من اوربا لبلاد الكانم والبرنو

ثانياً– التأثر الاقتصادي لدول المغرب على مالي:

كان للسفارات المتبادلة بين المرينيين وملوك مالي أثر في تدعيم العلاقات التجارية بين المنطقتين، ومعروف أن المنطقتين ترتبطان بعلاقة تجارية قديمة، غير أنها ازدهرت في عهد دولة مالي نتيجة عوامل متعددة، وعلى رأسها الاستقرار والأمن الذي ساد الطرق التجارية، فقد حرص حكام دولة مالي على سلامة التجار والمسافرين، بل إنهم انشئوا فرقا عسكرية مهمتها حفظ الطرق بين دولتهم وبلاد المغرب[4].

[1] بوفيل : مرجع السابق ، ص 105

[2] البكري : مصدر سابق ، ص 10

[3] الوزان ،ج 8: مصدر السابق ، ص 146

[4] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص133

أشاد الرحالة ابن بطوطة (703-779 هـ/1304-1377 م) بأمن دولة مالي، فلا يخاف المسافر فيها والمقيم من سارق ولا غاصب، وكذلك فهم لا يتعرضون لأموال من يموت ببلادهم من التجار البيض، ولو كانت كثيرة جدا، بل يتركونها عند من يثقون به منهم حتى يأخذها مستحقها. ولقد سافر ابن بطوطة من مدينة ايولاتن[1] إلى مالي مسيرة أربعة وعشرين يوما، ليس معه إلا دليل وثلاثة م أصحابه إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة لأمن تلك الطريق[2].

1- وضعية التجارة بين المغرب وبلاد السودان: حقق التجار المغاربة في أسواق بلاد السودان الغربي شهرة واسعة، كما حققوا ثراء كبيرا وكان من بين هؤلاء الأثرياء التجار السجلماسيون الذين احتكروا أسواق بلاد السودان الغربي[3]. خلال الفترة ما بين القرنين (8-10هـ /14-16م)، على حين حقق التجار المغاربة ما حققوه من ثراء وجمعوا ما جمعوه من أموال، إلا أنهم تعرضوا على مدى قرون للضرائب التي كان يفرضها عليهم حكام بلاد السودان.[4]

فقد امتلأت خزائن ملوك السودان الغربي بما فرضوه على التجارة الداخلة والخارجة منذ أواخر القرن (5هـ/11م)، حين كتب البكري عن غانة، وذكر سير ملوكهم على تنظيم الجباية للقوافل الواردة والآتية، واستمر هذا الأسلوب متبعا في دولة مالي[5].

وفي عهد ملوك مالي(8-10 هـ/14-16 م) استطاعوا تحقيق أرباحا وفيرة بفرضهم رسوما على العمليات التجارية، والصفقات التي تعقد على بعض السلع، مثل الخيول من المغرب الأقصى، أو المغرب الأدنى، وكذلك على المنسوجات الأوروبية الحريرية المصبوغة[6]، وبخاصة إذا كانت باهظة الأثمان، بالإضافة إلى أن ملوك مالي فرضوا رسوما على استخراج وتعدين النحاس[7].

---

[1] إيولاتن: تاريخ هذه المدينة يعود الى القرن الأول الميلادي، حيث كانت تعرف ببرو وتوصف خلال حقبة الملثمين بإيولاتن ومع مجيئ الإسلام الى الصحراء عرفت ازدهارا بارزا، كانت محطة لتجار والقوافل القادمة من جنوب إفريقيا متجهة الى الشمال. (ينظر، ابن بطوطة : المصدر السابق، ص692)

[2] نفسه، 678.

[3] حسن الوزان: المصدر السابق، ص540

[4] البكري، المصدر السابق، ص174-176.

[5] نفسه، ص176

[6] مارمول كارنجال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج3، الرباط، مكتبة المعارف، ص541.

[7] شهاب الدين العمري، المصدر السابق، السفر الثالث، ج4، ص47.

يتضح من الوجود الواسع للتجار المغاربة المقيمين في السودان الغربي إنعاش للحياة الاقتصادية، وكانت لهم كفة راجحة في الميزان التجاري لصالحهم بدليل الصفقات التي عقدوها من خلال التجارة الصحراوية، فذكر أن قوافلهم التجارية كانت تضم اثنتي عشر ألف جمل في أكثر الأحيان[1]، وهي الفترة التي زاد فيها نشاط التجار المغاربة المستقرين في المراكز التجارية على أبواب السودان الغربي، والتي بلغت المائة، فكانت تنتشر من المغرب إلى الشرق في وسط واد منحدر، وكانت هذه المراكز التي أطلق عليها ابن خلدون القصور[2]، عامرة آهلة بالتجار من سائر قبائل البربر وذلك من القبائل العربية[3]

2- السلع المتبادلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان: ارتبط النشاط التجاري الصحراوي بالذهب والملح[4] والرقيق، وقد ذكرت المصادر العربية كالعمري والقلقشندي، أن الملوك كانوا يحتكرون الذهب، لأنه ملك للسلطان والذي كانت تجمعه الرعية، ولا يسمح لهم بأخذ شيء منه إلا بإشرافه[5]. وكان التجار يجلبون السلع إلى مدينة تنبكت من فاس ومراكش وغيرها ثم يبيعونها بالذهب والرقيق[6]، وهناك بعض الروايات تحدثت عن حملة زرغون عام 1003هـ/1594م، حيث أخذ معه 30 دابة محملة بالذهب من تجار تنبكت، وهذه الكمية تقدر بحوالي 100000 قطعة ذهبية والتي قدرت ب425كجم، ومن خلال هذا يمكن القول أنه كان يكفي 50 جملا لنقل كل إنتاج السودان الغربي سنويا[7].

كما أنه قد أدى إلى توافد التجار والعلماء الأجانب إلى السودان الغربي الذي برزت أهميته العالمية، فظهرت الخريطة القطالونية التي أعدها إبراهيم كرسيك الميورقي "حوالي

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص660-678

[2] أبن خلدون:مصدر السابق ،ج7،ص118-119

[3] علي حملاوي، قصور مدينة -جبل عمور- من الق 10 إلى الق13 هـ/ 16-19م، دراسة تاريخية وأثرية، الجزائر، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة كلية العلوم الانسانية قسم الآثار، جامعة الجزائر، ص37.

[4] ينظر في الملحق، المراكز التجارية التي اشتهرت بتجارة الذهب والملح.

[5] العمري: المصدر السابق، ص74-75؛ القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ص290.

[6] أحمد بلعراف: أهمية التاريخ، مخطوط، ليبيا، مكتبة الهادي المبروك الدالي- طرابلس، د.ن، تصنيف، وقة 10.

[7] محمد مرحبا: التاريخ الخاص بالتواتر، مخطوط، طرابلس: مكتبة الهدي المبروك الدالي ليبيا، ورقة 110.

777هـ/1375م"[1]وأصبحت منطقه السودان الغربي معروفه في أوروبا بأنها مصدر الذهب[2]، وقد لفتت أنظار القوى الأوروبية لهذه المنطقة[3].

وكانت الصحراء المصدر الرئيسي للملح، وأشهر المناطق التي ساهمت في إنتاجه ملاحات تغازه[4] التي وصفها البكري في القرن 5هـ/ 11م[5]. فقد عُرفت تغازة عند الرحالة والمؤرخين في القرن ال7هـ/13م، فذكر ابن سعدي استخراج الملح منها ونقله إلى بلاد السودان[6]، كما كانت تجاره الرقيق والذهب تشكلان شريان الحياة التجارية الصحراوية منذ العصور الوسطى[7] .فكان الذهب وسيلة للإبداع في طراز الفن المعماري، ووسيلة للبحث عن ما ندر من السلع والبضائع التي تزين تلك القصور والبنايات الفاخرة، ليساهم السودان بدوره في تحقيق هذه الرغبة بوضع قائمة من البضاعة التي أصبحت تميز هذا الإقليم[8].

من أهم السلع التي تتوفر بكثرة العاج والأواني المنزلية، مثل: أواني التراث والتزيين، والخيول[9]، كما كان التمر من السلع التي كانت ترد على بلاد السودان الغربي، وخاصة مدينة جني[10] من

[1] الطيبي، الحضارة العربية الاسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى، ليبيا: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ص312؛ محمد عبد العالي أحمد، منسى موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة، مصر، جامعة القاهرة، ص55.

[2] الملحق، مناطق الذهب في السودان الغربي

[3] حميلة التكتيك: مملكة سنغاي الاسلامية في عهد تلاسكيا محمد الكبير 1493-1528م، طبيعة ليبيا، ليبيا، د.د، ص133-134.

[4] تغازة: هناك اختلاف كبير في تسميتها فمنهم من يعرفها (بتغازا) ومنهم من يعرفها (تغزة)، ولكن أغلب الكتابات تطلق عليها اسم تغازا، موقعها متوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة الصحراوية. وتعتبر تغازا المصدر الأول لمعدن الملح الغالي الثمن في السودان الغربي.https://ar.wikipedia.org /

[5] البكري: المصدر السابق، ص171؛ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص141.

[6] ابن سعيد المغربي: بسط الأرض، تحقيق: خوان قربيط خلينس، المغرب، معهد مولاي الحسن-تطوان، ص47.

[7] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص554.

[8] شناين العيفة: دولة بني مدارار بسلحماسة ودور القوافل في ازدهارها الحضاري، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، ص156.

[9] محمود كعت، المصدر السابق، ص149.

[10] جني: تاسست في مالي الوسطى عام800ميلادي وهي واحدة من أقدم المدن الوقعة جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا، وتقع جني على الجزيرة في دلتا نهر النيجر وأصبحت معبر للتجار لنقل بضائعهم. https://ar.wikipedia.org/

الشمال الإفريقي، فقد كانت تصدر من مدن ورجلان، وسجلماسة، وغدامس، وايولاتن[1]، وكانت جاو سوقا رائجا لتجارة الخيول الأصلية مع سروجها[2]، وهي مرتفعة الثمن والحصان يساوي في مدينه جاو من أربعين إلى خمسين مثقالاً، وكان معظم لباس أهالي السودان الغربي من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية، التي كان يأتي تجار المغرب الأقصى إلى منطقة التكرور عبر اغمات[3].

وكان القميص السوسي ذو اللون الأخضر يأتي به تجار المغرب ولا يلبسه إلا الملوك لأنه غالي الثمن[4]، وقد توصلت الحفريات في كل من جاو، تنبكت، كومبي، أودغشت، تادمكت، كاوكاو إلى العثور على بعض الأواني الزجاجية كالكؤوس، والمزهريات والمصابيح الزيتية، والتي وضعت ضمن قائمه البضائع المهمة التي جربها تجار السودان الغربي من المغرب الأقصى[5].

3- العائلات التجارية العربية ودورها في ازدهار المناطق التجارية الصحراوية بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي.

شكلت قبائل البرابيش[6] ثقلا اقتصاديا في منطقة السودان الغربي، فقد سيطرت على طرق القوافل الذاهبة والقادمة من المغرب الأقصى، إذ كانت تأخذ الغفر[7] على شكل وارد من تجار غدامس، توات، تجانكت، أولاد باسبع وأهل سلجماسة، وكانت القافلة تصل إلى اثنتي عشر ألف جمل في فصل الصيف محملة بالبضائع من ملح وتمر وغيره، وتخرج من السودان محلة بالصمغ، العاج، الريش،

---

[1] محمو الأرواني: الترجمان في تاريخ الصحراء وأوان، مخطوط، ليبيا، مكتبة الهادي المبروك الدالي- طرابلسالورقة 49

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص170.

[3] الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص333.

[4] مارمول كارنجال، المصدر السابق، ص204-205.

[5] حان دفيس: التجارة والطرق التجارية في غرب إفريقيا، ط3، مقر دار المعرف الإسلامية-القاهرة، ص4

أودغست: تقع على بعد مائتي ميل من كومبي صالح وأنها تقع بين خطي عرض 18 19 درجه شمال خط الاستواء وجنوب غرب (تجكة).https://ar.wikipedia.org /

تادمكت: مدينه قريبه من غانا الوثنيه ويقال أن اسمها مشتق من مكة المكرمة وهي مدينة كبيرة سكانها من العرب المغاربة المسلمين واغلب قوتهم اللحم واللبن وتجلب لها الذرة من بلاد السودان وعملاتها المتداولة تعرف بالصلع وهي من الذهب. /https://ar.wikipedia.org

[6] البرابيش: يطلق أهل تمبكتو على كل شخص يميل إلى السمرة بربوشي ونسبهم أورده صاحب الترجمات أنهم ينتسبون إلى بني حسان وهم من ضمن الهجرة الهلالية إلى الشمال الإفريقي، (يُنظر، الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا في ما وراء الصحراء(من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر)، الطبعة الثانية، ليبيا- طرابلس، ص60.)

[7] الغفر: ضريبة تؤدى عن كل رأس في السنة.

الذهب والرقيق، كلها تأخذ عليها البرابيش الغفر الذي كانت قيمته سبع مثاقيل وثلث من الذهب على جمل[1].

يُأخذ عن التجار الواردين من شنقيط[2] ضريبة الإبل، التي يأتون بها بفضل البيع في مدينة روان وما جاورها[3]، ومن هنا يتضح ثقل قبائل البرابيش في منطقة السودان الغربي، ودورها في انعاش التجارة الصحراوية، ومن أشهر الشركات والوكالات التجارية التي ساهمت في حلقة الاتصال بين المغرب الأقصى والسودان الغربي إخوان المقري[4]، إذ كان المركز الرئيسي لهذا البيت التجاري الكبير في سجلماسة المحطة التي تبدأ منها القوافل.

قد أقام اثنان من إخوان المقري في تلمسان، وواحد في مدينة سلجماسة، واثنان في أفران في السودان الغربي[5]، فكان الذي في تلمسان يرسل للذي في الصحراء بما يشير عليه من البضائع، وكان الذي في الصحراء يرسل إليه بالجلود، والعاج وجوز الكولا والتبر، أما الذي في سلجماسة فكان يخبرهم بهبوط الأسعار وارتفاعها، ويكتب لهم عن وضع التجار وأحداث البلاد، وهكذا تضاعفت أموالهم وعظم شأنهم، وكان الإخوة المقري يشكلون شركة حقيقية في تلمسان، تملك فرعا لها في سلجماسة وآخر في بولاتن.

كانت لشركة الإخوان مقري شبكة تمدها بالمعلومات، وأعوان يقومون بالاتصالات، نظموا العمل في شكل منظومة محكمة، ووضعوا أنفسهم تحت حماية ملوك مالي، ونجحوا في إنشاء شبكة تجارية ممتدة الأطراف، لقد ساهمت هذه الشركة في احتواء شبكة التجارة الصحراوية بعدما استوعبت شأن المنتجات التي ترد من المغرب الأقصى إلى بلاد السودان، واتخاذ قرار بشان الأصناف المطلوبة والأثمان

[1] محمد الاروانى، المصدر السابق، ورقة94

[2] شنقيط: مدينة في موريتانيا تقع الى الشرق من ولاية أدرار، تأسست في القرن2هـ مدينة تاريخية عاشت قرون مزدهرة قبل ان تسقط وتدفن لتنهض بدلا عنها مدينة شنقيطالحالية التي تاسست عام 1262 ويرجع الاسم الي البربر /https://ar.wikipedia.org

[3] محمد الأروانى، المصدر السابق، ورقة 94

[4] المقري، نفح الطيب، الج3، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ص205، سعد غيث أمطير (1994)،التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، رسالة ماجستير، ليبيا، جامعة الفاتح، ص113.

[5] . نفسه، ص392؛ حسن حافظ علوي، علاقة المغرب الأقصى بمالي من خلال رحلة ابن بطوطة، المغرب، مجلة المناهل، العدد 531، 1996م، ص12

التي يمكن أن تباع بها[1]. وقد عنى الإخوة المقري بدراسة الجذور التجارية، مما مكنهم من التوغل إلى بلاد السودان الغربي ووصلوا عام 753 هـ/ 1352م، إلى عاصمة مادنجو، حيث لم يواجهوا أية متاعب، لأن البيت التجاري التابع لهم كان معروفا جيدا كما كان لهم وكيل فيها[2].

كانت الجالية التجارية العربية بالمغرب الأقصى في مالي تجمع بين إفرادها برابطة وثيقة، ولها تنظيمها الخاص بها، وفي عهد "منسى سليمان" كان رئيس الجالية العربية المغربية في مالي هو "محمد بن الفقيه الجزولي"، وهو مراكشي تزوج بابنة عم السلطان "منسي سليمان"، وكان من بين أعضائها البارزين الآخرين "عبد الوكيل المقري" المتزوج بابنة "محمد بن لفقيه" و"شمس الدين بن النقويش المصري"[3].

4- دور التجارة في تعزيز العلاقة: العلاقة الدبلوماسية بين بلاد المغرب وممالك بلاد السودان الغربي إن المعاملات التجارية الصحراوية بين المغرب المغربي الأقصى وبلاد السودان الغربي ما بين القرنين (08-10هـ)(14-16م)، كان لها أثر ايجابي على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل من الطرفين، فقد حقق كل منهما أرباحا وثروات كثيرة، وكانت التجارة سببا في إضافة العديد من أقلام المؤرخين والمفكرين في إبراز دورها، في:

أ- ربط الصلات الاجتماعية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي بفضل خلق العلاقات الأسرية بين الطرفين وجاليات المغرب الأقصى القاطنة بالسودان الغربي، وهو ما تجسد فعلا من خلال انتقال عادات وتقاليد المغرب الأقصى إلى بلاد السودان الغربي[4].

ب- اعتماد نظام تجاري منظم تمثل بداية في المقايضة أو معروف بالتجارة الصامتة ثم تطور إلى استعمال قطع الحديد في تقييم السلع، ثم صك النقود الذهبية والفضية والنحاسية والتي ساعدت في تطور التجارة، وتنوع سلعها مع ارتباط التجارة الصحراوية بالذهب والملح والرقيق، هذه ثلاثية متلازمة مكنت من احتكار الملوك السودانيين للتجارة بينهم وبين المغاربة وجعلتهم في ثراء فاحش، مع تحديد

---

[1] مادهو بانيكار، الوثنية والإسلام وتاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية، ترجمه احمد فؤاد بالبع، مصر: المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ص 392.

[2] نفسه ، ص392.

[3] نفسه، ص392؛ حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 12.

[4] فارح بن ميهوب: المعاملات التجارية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي ق(08_10هـ)(14_16م)، مجله الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص238

قيمة الفضة والنحاس والملح وتجارة الرق من خلال توحيد قيمة الذهب بهذه المعادن المذكورة آنفا.

ت- تطور أساليب التجارة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي من خلال حفر الآبار على طول الطرق التجارية وبناء المراكز التجارية كالواتة لتسهيل تنقل القوافل التجارية بين الطرفين، ومساهمه القبائل المغربية في حماية تلك المراكز[1].

ث- أما عن وضعيه الميزان التجاري، فوحدات الكفة كانت لصالح التجار المغاربة لاحتكارهم الأسواق، بعدها رجعت لحكام بلاد السودان الغربي لفرضهم الرسوم والموكوس على التجار، الأمر الذي أدى إلى امتلاء خزائن الملوك السودانيين حتى مجيء المغاربة السعديون ونهبهم للذهب ونقله للمغرب الأقصى[2].

ثالثا- المجال الاجتماعي

إلى جانب ازدهار العلاقات التجارية تطورت العلاقات الاجتماعية خاصة عن طريق الهجرة والمصاهرة، وهما عاملان أوصلا المجتمعين إلى إنشاء حضارة فنية بكل قامها تأثر فيها المغاربة أهل المغرب الأقصى والأدنى بالأفارقة لدرجة أنهم تعايشوا معهم وكونوا أسر من خلال عامل المصاهرة.

1- أسباب تشكل العنصر البشري للمغاربة في بلاد السودان

أدت عدة عوامل إلى تشكل جالية مغربية ببلاد السودان الغربي، منها وصول بعض الجماعات من بينها جماعات قيس عيلان[3]، فقد نقل هؤلاء العرب العديد من صور الحضارة العربية إلى تلك الأصقاع، وأخذوا عنهم الكثير من طبائع معاشهم، كإنشاء المساكن وما تعلق بالعمران بشكل عام. ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما ذكرته المصادر.

براعة المهندس والشاعر أبو إسحاق الساحلي ومدى التحول الذي أحدثه في هندسة عمران هذه البلاد [4].إيداع طريقة جديدة تتناسب مع طبيعة هذه البلاد الحارة وما زالت إلى يومنا هذا بعض معالم عمران الساحلي في هذه البلاد بداية من 723هـ/1323م، حيث عمل على بناء العديد من القصور والمساجد انطلاقا من مدينة جنى، فأتقنها وبرع في صنعها وهو من أدخل البناء

[1] فارح بن ميهوب: نفس المرجع، ص238

[2] نفسه، ص238

[3] أحمد بن سعيد بن حزام أبو محمد علي: جمهرت أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص243

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص199.

بالطوب المحروق الذي لم يكن معروفا في بلاد السودان الغربي، ومما ذكره عنه ابن خلدون: "**أراد سلطان مالي أن يتخذ بيتا في قاعدة سلطانة ببناء قبة مربعة الشكل، استفرغ فيها إجادته، وكان صناع اليدين، وأضفى عليه من الكأس توالى عليها من الأصباغ المشبعة، فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بارضهم، وصله بثني عشر ألفا من مثاقيل دنانير التبر مبثوثة عليها، إلى ما كان من الأثرة والميل إليه، والصلاة السنية**"[1]. كما ذكر ابن بطوطة أن سلطان مالي أجزل بالعطاء على الساحلي جزاء تقنه في البناء[2].

وقد أدت الهجرات الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي وخاصة من بلاد المغرب اندمج المغاربة مع السكان المحليين وتزوجوا معهم، وأصبحت مدن السودان الغربي عامرة بهم وبعاداتهم وتقاليدهم بصفة خاصة والغرب بصفة عامة[3].

ومما يجدر ذكره تلك الهجرة المعاكسة التي كانت من بلاد السودان الغربي نحو بلاد المشرق الإسلامي ومصر على الخصوص حيث خصص رواق خاص السودانيين في الجامع الأزهر بالإضافة إلى وجود حي خاص لأهالي بلاد التكرور في مدينة القاهرة عرف بحي التكروري[4]. ومن خلال ذلك نلاحظ مدى التواصل والتلاحم بين العرب المسلمين في اقطار العالم الإسلامي من جهة وبين أهل السودان الغربي وكيف كانت هذه العوامل أحد أسباب.

كان في مالي العاصمة حي كامل للبيضان، وفي قرية زاغري الواقعة بين ولات ومالي يسكن جماعة من البيض، وفي جاو "كوكو" حارة للبيض، يسكنها جماعة من المغرب، مثل محمد بن عمر من أهل مكناسة، ومحمد الوجدي التازي، والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيض. كان هؤلاء المهاجرون يندمجون في المجتمع السوداني بل يصاهرون الأفارقة ويتزوجون منهم ويزوجونهم، ومما ذكر عن ابن إسحاق الساحلي انه تزوج منهم وأنجب أولاد سودا، وفي المقابل استقرت أعدادا كبيرة من السودان في مدن المغرب، واتخذ بعض الملوك من بني مرين إماء من تلك البلاد فأنجبت لهم أولادا ارتقى بعضهم عرش الحكم في الدولة المرينية، مثل الواثق بالله محمد بن أبي الفضل ابن أبي الحسن

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 199.

[2] نفسه، ص 199.

[3] قاسم جمال زكريا الاصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر، ص155.

[4] بردي ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، ج 14، ص289.

المريني الذي تولى حكم الدولة المرينية في شهر شوال سنة(789هـ/1387م)، كان اسود اللون وأمه مولات اسمها عسيلة.

كان للهجرة العربية من شمال إفريقيا وعلى الخصوص من المغرب واستقرارهم في بلاد السودان الغربي إلى الانصهار في المجتمع السوداني، مما أدى إلى شغلهم من العديد من المناصب الكبيرة في بلاط ملوك هذه البلاد، كالقضاء والإفتاء وإمامة المساجد والتدريس بها وكذا التجارة، حيث برزت عدة أسر نذكر منها بيت الفيلالي، الدكالي، السلجماسي، والنازي، والتواتي، الجزولي، فكانت إيذانا لبروز مجتمع سوداني جديد بملامح وتقاليد عربية بربرية إسلامية[1].

معنى التجاري والفقهاء فقد كان وصولهم الى هذه المنطقة سببا في احتكاك مع السكان الأصليين ومع الاستقرار والمصاهرة تقبل السكان عادات الوافدين وأصبحت جزءا من حياتهم المعيشية[2].

أظهرت نتيجة المصاهرة جيل جديد من المولودين ينتسبون إلى العرب، لأن أجدادهم العرب تزوجوا من سودانيات، ومنهم حكام مالي الذين ادعوا نسبهم إلى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان نفس الشأن للعديد من الأسر السودانية التي ادعت النسب الشريف، خاصة بعد قدوم العديد من الأسر الشريفة مع السلطان منسا موسى بعد حجه سنة (724هـ/1324م)[3].

كما نتج عن هذه المصاهرة انتشار اللغة العربية فأصبحت بذلك أحد أهم الوسائل لحفظ تراث هذه البلاد ونشر الدين الإسلامي في مجاهل القارة الإفريقية وكانت سلوكياتهم دافعا لاعتناق شعوب هذه البلاد للدين الإسلامي. كما ازداد التزام المجتمع الأخلاقي وساده التسامح وإقامة الحدود بين الناس والعمل بتعاليم الدين الإسلامي، مما انعكس على المستوى الحضاري للسودان الغربي في هذه الحقبة الزمنية، والتي كانت من أزهى فترات هذه البلاد لعلمائها وأعلامها في شتى العلوم والفنون[4].

---

[1] Trimingham Spencer,(1976,p107) AHsitory of Islam in west Africa, oxford university, London, England, p107

[2] Epid ,p.107

[3] نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا، ش، و، ن إ، الجزائر ص9.

[4] نعيم قداح، المرجع السابق، ص9.

رغم اختلاف العادات والتقاليد والاختلاف الكبير في نمط العيش، إلا أن المغاربة تعايش وتأثر ببلاد السودان فطور التجارة وتحكموا في اسواقها جعلت بهم إلى تعكوين عائلات في المنطقة جعلت من المغاربة أبناء للمنطقة، فهذه العلاقة جعلت من الإسلام يثبت ويوثق فيها فأنتجت بها علماء وفقهاء.

المطلب الثاني– تأثير السفارات في المجال العلمي والثقافي لبلاد المغرب على بلاد السودان.

تحولت بلد السودان الغربي من مناطق تجارية إلى مراكز للتعليم، بسبب توافد العلماء والفقهاء إضافة للتجار الذين استقروا في حواضرها كتمبكتو جني. باعتبارها ملتقى الطرق والقوافل التجارية، لقد نزحت جموع كبير من شمال إفريقيا ليستوطنوا نهر النجير والسنغال، ومن بين هذه الجموع المتناثرة عبر القرون هاجر العديد من العلماء إلى هذه البلاد، فأسسوا المدارس لنشر العلم والثقافة الإسلامية، وكان جلهم يتولون منصب القضاء والإمامة، ومنهم من تفرغ للتدريس، فتأسست بذلك في السودان الغربي مراكز حضارية ومدارس استقطبت الكثير من علماء العالم الإسلامي وطلاب العلم والمعرفة، فأنتجت هذه المراكز علماء نافسوا علماء المشرف والمغرب.

أولاً: أثر التعليم المغربي على بلاد السودان.

عرفت بلاد السودان الغربي تحولها بارزا خلال الفترة الوسيطة، وذلك من خلال المتغيرات التي عرفها العالم الإسلامي بشكل عام، وكذا التحولات التي عرفتها بلاد المغرب بشكل خاص بحكم أنها كانت بوابة الصحراء الكبرى التي تعد الحد الشمالي لبلاد السودان الغربي.

وقد برز هذا التحول من خلال السفارات والوفود الذين كان لهم اثر كبير في ازدهار العلاقات بين المغرب والسودان الغربي، وشملت هذه العلاقة جميع المجالات منها المجال العلمي.

بدأ تأثير بلاد المغرب في الجانب العلمي مبكرا حيث كان إسلام ملوك مالي على يد داعية مسلم من المغرب، ومن ثم انتشر المذهب المالكي في مالي ما أدى إلى تدعيم العلاقات الثقافية بين المنطقتين.واتخذت هذه العلاقات أشكالا متعددة حيث حرس ملوك مالي وبخاصة منسا موسى، ومنسا سليمان، على تشجيع العلماء للقدوم إلى بلادهم، وقد ذكر ابن بطوطة جمله من هؤلاء العلماء ومنهم:

–محمد الفقيه الجزولي: كبير المهاجرين البيض في مدينة مالي وصهر ملك مالي منسا سليمان، وكذلك صهره الفقيه المقري عبد الواحد.

-ابن الشيخ اللبن وابنه: من أهل تلمسان أكرمه السلطان منسا موسى واغدق عليه، وابنه: كان يعلم القران بمالي ولقيه ابن بطوطة[1].

-الفقيه أبي العباس الدكالي: كان من البيضان وتولى القضاء لمنسا موسى[2].

-أبو عبد الله محمد بن وانسول: من العلماء الذين وفدوا على دولة مالي من المغرب وأصله من سلجماسة، تولى القضاء في دولة مالي، وقد لقيه ابن خلدون سنة (776هـ/1374م) ونقل عنه كثيرا من أخبار ملوك دولة مالي[3].

-الفقيه المدرس يحيى: وهو أخو قاضي ولاته محمد بن عبد الله بن يونس[4]، والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان بمدينه كوكو[5]، والفقيه المقرئ عبد الواحد الذي كان بعاصمة مالي الإسلامية[6]، والقاضي أبي العباس، القاضي عبد الرحمن التميمي[7]، قدم مع السلطان موسى إلى مالي، وسكن مدينة تنبكت فوجدها حافلة بالعلماء والفقهاء السودانيين، وقد تفوقوا عليه في الفقه فسافر إلى فاس، وتفقه على يد الفقهاء الماليين ثم عاد إلى تمبكت[8].

-الفقيه عبد الله البلبالي: قدم مع كاتب السلطان موسى، وكان البلبالي أول من تولى إمامة المسجد الجامع بتنبكت[9].

أما العلماء الذين قدموا منطقه ودرسوا فيها علوم الدين فهم كثيرون نقتصر على ذكر بعض منهم:

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج5، ص297.

[2] ابن بطوطه، الرحلة، المصدر السابق، ص692.

[3] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص202.

[4] ابن بطوطة، المصدر السابق ج4، ص237.

[5] كوكو من الاقليم الاول وعرضها عشر درج وملكهم من شرقيه اسمها سرناة بها اسواق ومتاجر، والسفر اليها من كل بلد متصل. (ينظر، مبخوت بودواية، المنهج الديني والتعليمى لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني باقليمي التوات والسودان الغربي ق 9هـ-10هـ، مجلة الفكر الجزائري العدد الرابع ديسمبر 2009.)

[6] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص299.

[7] .البرتلي: فتح الشكور، المصدر، 206.

[8] السعدي، المصدر السابق، ص51.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ص198.

-نور الدين أبو الحسين علي بن احمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري: العالم النحوي المتوفى عام 724 هـ رحل من المغرب إلى بلاد التكرور، وقرأ فيها القران ثم قدم إلى القاهرة فاخذ عنه العربية بها جماعة من بينهم جمال الدين الأسنوي الشريف العلوي حسني من مدينة فاس، ذكره البرتلي[1] باسم الشريف الشاب[2] وقال انه كان حيا عام 1245 م وأشاد بعلمه..

-محمود البغدادي: جاء إلى بلده أهير في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي اشتغل بالتدريس، درس عنده الشيخ أبو روس، الشيخ النولي احمد بن الفقيه، الشيخ الكامل بن الحاج، الشيخ احمد رزوق تافس بمعنى قادم من فاس، والولي المكاشف الفقيه الحاج سكاف، والفقيه عبد الله بن تركش وغيرهم، وقد عمل على نشر الطريقة القادرية في المنطقة والتي كانت أول طريقة تصل إلى منطقه السودان الغربي[3].

إن الأسس الفكرية التي كانت موجودة في السودان الغربي تقودونا لأن نميز ثلاثة مراحل عبر خلالها التعليم الإسلامي العربي في المجتمعات السودانية وهي:

المرحلة الأولى: نهض بها الدعاة وسط القبائل والمساجد حتى أواسط القرن الرابع عشر، واقتصر التعليم فيه على العبادات و المعاملات والسلوك الديني.

المرحلة الثانية: امتازت بتوقيق العلاقات العربية المغربية والمشرقية بالسودان، وأدت جهودها إلى إدخال الثقافة العربية والفنون وخلق مدرسة إسلامية سودانية وذلك من خلال انتقال علماء الفقه والحديث وجماعة من المهندسين المعماريين إلى السودان الغربي.

المرحلة الثالثة: تبدأ في أواخر القرن 10هـ/ ال16 م، وقد وسعت المجالات السابقة وصقلتها وأضافت فيها مجالات وآفاق مختلفة تمثلت في الفنون الأدبية الأكثر عمقا وإشراقا وإبداعا كالفلسفة، والمنطق، والتاريخ والأدب، والإنشاء، والشعر[4].

وعليه فان العلماء الوافدين من الأقطار العربية كان لهم كل الفضل في إرساء دعائم أصول الدين الإسلامي في حواضر السودان الغربي وعملوا جاهدين على نشر العلم والثقافة الإسلامية وبث

[1] البرتلي، المصدر السابق، ص288.

[2] نفسه، ص213-214.

[3] مبخوت بو دوايه، المرجع السابق، ص215.

[4] محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، بغداد-1982، ص514

الوعي في كل أرجائها[1] .كما أن جهود الفاتحين لم تنحصر في نشر الإسلام على نشاط التجارة فقط بل كانت لهم الغرابة[2]، فرجال العلم وجهودهم لإعلاء كلمة الله واهتمامهم الكبير بغرب إفريقيا جعلهم ينشؤون في المنطقة الواقعة بين ورجلان وسلجماسة دار الدعوة[3].

ثانيا– التأثيرات الدينية لبلاد المغرب على بلاد السودان الغربي

تعد بلاد المغاربة إحدى المحطات الرئيسية التي عبرت من خلالها مختلف مؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الإسلامية نحو بلاد السودان الغربي وحتى قبل ظهور الإسلام وجد ذلك الترابط التجاري بين بلاد المغرب القديم وإفريقيا جنوب الصحراء حسب ما تناولته عدد الدراسات التاريخية، واتفق اغلبها على أن هذا التواصل يزيد عن القرن الثاني ميلادي، لأن ذلك الترابط والتواصل لم يعرف تلك الطفرة وذلك الحجم من التأثير إلا بوصول الإسلام و العربية إلى حدود الصحراء الكبرى الإفريقية ومعه انتشار المذهب المالكي التي تبنته قبائل وشعوب إفريقيا جنوب الصحراء برغم وجود العديد من الإشارات لدى بعض المؤرخين والرحالة من تواجد مبكر للمذهب الإباضي في تلك المنطقة.

1– انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان:

وصل الإسلام في وقت مبكر إلى بلاد السودان الغربي، حيث أرجعه بعض المؤرخين إلى القرن الثاني للهجرة، وهناك من يعود به إلى فتره فتوحات عقبه بن نافع لبلاد المغرب، حيث أرسل حامية عسكرية إلى بلاد سوس الأقصى[4]، وهناك من يذهب ابعد من ذلك إلى أنها توغلت حتى اوداغشت[5] عاصمة غانا القديمة شمال بلاد السودان الغربي، ولكن كان انتشار الإسلام ترتبط معه

---

[1] الطيب بن عمر بن الحسين: السلفية وأعلامها في موريتانيا "شنقيط"، عرض لتاريخ الأشقرية وما له علاقة بذلك من الحركة العلمية الجهادية من دخول الإسلام إلى القطر سنة 63هـ إلى 1413هـ، دار ابن حزم، بيروت، 1995، ص225.

[2] بعد سقوط الدولة الرستمية في نهاية القرن الثالث هجري ظل الإباضة منذ ذلك الوقت يحافظون على كيانهم في المناطق التي استقروا فيها وقد ساعدهم في ذلك نظام الغرابة: وهو مصطلح التزموا به كبديل لدولتهم وهو مجموعه من التقاليد التي نظمت المجتمع الإباضي منذ دخول الإباضية إلى بلاد المغرب، وقد درست تلك التقاليد وسجلها كبار فقهائهم بعد سقوط دولتهم انطلاقا من مبادئ الشريعة الإسلامية، وأصبحت قوانين التزموا بها، ونظمت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية https://ar.wikipedia.org/

[3] الزهري، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، 1967، ص126.

[4] البكر، المصدر السابق، ص10.

[5] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 155.

بالضرورة المرجعية الفقهية المالكية خاصة ونحن في قرون الإسلام الأولى، فانه وبرغم تقلص المذهب المالكي في الحجاز مهد ظهوره، إلاّ انه لقي انتشارا واسعا في بلاد المغرب والأندلس ثم السودان الغربي حتى أصبح المذهب السائد في تلك الربوع[1].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المذهب المالكي دخل إلى بلاد المغرب في فتره مبكرة وإثناء حياه الإمام مالك[2] نفسه، وذلك على أيدي تلامذته، ونذكر منهم: على علي بن زياد المتوفي(138هـ-799م)[3]، الذي يعتقد أنه أول من ادخل المذهب إلى بلاد إفريقيا والمغرب، بالإضافة إلى البهلول ابن راشد(128-183 هـ/740-799م)، وعبد الله بن فروخ (110-176هـ/728-792م) الذي اخذ عن الإمام مالك نفسه، ومن تلامذته أيضا في افريقية عبد الله بن عمر بن غانم وأسد بن الفرات وغيرهم[4].

في حين بدأ انتشار المذهب المالكي في أقصى بلاد المغرب في عهد إدريس بن عبد الله(172-213هـ/783-828م)، لينتشر بشكل اكبر ابتداء من الرابع الهجري/العاشر ميلادي على أيدي دارس ابن إسماعيل المتوفي عام(357هـ/967م) وتعتبر بعض الروايات على انه أول من جاء بمدونه الإمام سحنون إلى تلك البلاد[5].

لاحظنا سابقا أن الروابط التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء تسبق ظهور الإسلام حسب ما أورده عديد الدراسات التاريخية والأثرية، إلا أنه بانتشار الإسلام ازدادت تلك

---

[1] عمر الجيدي: محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1987، ص24.

[2] الامام مالك رضي الله عنه: هو ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ينتمي الى قبيلة حمير التي ترجع اصولها الى قحطان، ولد رضي الله عنه بالمدينه المنوره سنة (93هـ/711م) وتوفي(179هـ/795م). (ينظر، عياض: ترتيب المدارس وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك، تحقيق احمد بكير محمود، مكتبة الحياة بيروت، 1968، ج1، ص102.)

[3] البهلول ابن راشد هو ابو عمر وكان ثقه مشاهدا ورعا سمع من مالك بن أنس، ومن سفيان الثوري، والليث بني سعد وغيرهم، سمع منه مشايخ افريقية منهم سحنون وعون بن يوسف الخزاعي ويحي بن سلام المتوفي عام (183هـ/799م)،(ينظر، تميم القيرواني: طبقات علماء إفريقية و تونس، تحقيق علي الشامي ونعيم حسن، الدار التونسية للنشر، 1985م، ص112).

[4] حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة الوقائع التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، يناير 2006م، ص35.

[5] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص24.

الروابط والوشائح متانة، وتسعت دائرة التبادل بين المنطقتين، وأصبح التاجر المسلم الذي يتصف بالأمانة والصدق والاستقامة الأمثل تعاملا في نظر السودانيين، فدفعهم ذلك البحث عن مصدر هذه الأوصاف، وبالتالي الدخول في هذا الدين[1]، وذكر البكري المتوفي عام (487هـ/1094م) أن عبد الرحمن ابن حبيب الفهري والي افريقية والمغرب (130-138هـ/747-755م) اهتم بطرق القوافل، فأمر بحفر الآبار التي تربط الى بلاد المغرب باوداغشت[2]. ولا شك أن تعدد الطرق التجارية الرابطة بين بلاد المغرب وإفريقيا، تعد معابر طبيعية لانتقال الأفكار والعقائد وبالتالي المذاهب الإسلامية وفي مقدمتها المذهب المالكي.

وعلى كل تعددت طرق التجارة الرابطة بين الشمال والجنوب وتقلصت حسب الظروف الأمنية والسياسية وحتى الطبيعية ومن هذه الطرق على سبيل المثال لا الحصر نجد:

-طريق من سرج ماسه ويمر بغرداية وينتهي الى تنبكت.

-طريق من تاهرت إلى ورقلة ويتفرع عنه الطريق إلى غدامس وغادس وآخر إلى غاو مباشرة، وهذا المسلك يتصل شمالا بالموانئ الجزائرية.

-من واحة الجريد في جنوب تونس باتجاه ورقلة ثم غدامس إلى غادس وتنكتو.

-من طرابلس الغرب مرورا بغدامة ويمر فرع منه بفزان وينتهي الى كانم برنو ثم غاو.

-ينطلق من مصر يمر بواحة سيوة وبزويلة وتادمكة وينتهي الى تنبكتو وجاو[3].

إن ملائمة المذهب لنفسية السودانيين يعد عاملا لتقبل السودانيون الإسلام وانتشر بينهم بسلاسة وانسيابية، وارتضوا معه المذهب والعقيدة التي وجدوها لدى من أوصل إليهم هذا الدين، وهم الدعاة والتجار المغاربة، وكان مما يتصف به الفرد السوداني ولا يزال، طيبته وخفة دمه التي تدعوه للتمسك بكل ما هو أصيل، فكيف ذلك إذا ارتبط الأمر بالمذهب المالكي، خاصة إذا علم ذلك المرء أن المذهب مصدره مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ناهيك على أن المذاهب الإسلامية

[1] سحر عنتر: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وسنغي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2011، ص69.

[2] البكري، المصدر السابق، ص349.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص40.

الأخرى لم تكون ذائعة الصيت في المنطقة والفرد السوداني أخذ الإسلام على فطرته وسريرته وأحيانا حتى على طبيعته[1].

ويعد هذا المذهب الأقرب لمزاج وطبيعة أهل السودان الغربي، وذلك لسهولة المذهب ووضوحه فهو يعتمد على القران الكريم ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل ويوثق الحديث بالقران، ويأخذ من السنة بالمتواتر منها ويخبر الآحاد مثل ما يأخذ مالك بعمل أهل المدينة كما يأخذ بالقياس والمصالح المرسلة والاستحسان ويأخذ بفقه سد الذرائع وقد قابل هذا المنهج ميلا وهوى لدى أهل السودان الغربي لأنه يتفق مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقد[2].

يعود الفضل في انتشار الإسلام واستمراريته في ممالك السودان الغربي إلى الدور الذي قام به الملوك في سبيل التمكين للإسلام ودعائمه، حيث أولى سلاطين مالي عناية خاصة بالمذهب المالكي ونشر الأداء وسط السودانيين، تحدثنا بعض المصادر العربية عن الدور الذي لعبه السلطان منسى موسى في توطين هذا المذهب لمملكتي مالي حسب ما أورده العمري بقوله "وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك[3].

ونجد السعدي يذكر عن رحلة هذا السلطان إلى الحج سنة (724هـ/1324م) ولقائه بسلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن فلاون الذي طلب منه أن يقبل الأرض في حضرته فرفض ذلك بقوله: **"أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله، فأعفاه السلطان ناصر من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه وتحدث معه"**[4]، وتجسيدا لهذا المسعى استخدم كاتب "منسى موسى" من توات الفقيه "عبد الله البلبالي"، وهو أول من تولى إمامه المسجد الجامع من المغاربة في مملكة مالي، وعلى كل تعد فترة منسى موسى حاسمة في تاريخ ترسيخ للمذهب المالكي في السودان الغربي، فقد أثمرت جهوده العديدة إلى التمكين للمذهب في مملكته وعلى نفس النهج سار أخوه سليمان من بعده[5].

2- ركب الحج المغربي وتأثيره في السودانيين: كانت قوافل الحج السودانية المتجهة إلى بلاد الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة تمر ببلاد المغرب وخاصة المدن الجنوبية منها، مثل: توات

[1] سحر عنتر، المرجع السابق، ص102.

[2] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص31.

[3] العمري، المصدر السابق، ج4، 74.

[4] السعدي المصدر السابق، ص. 5؛ القلقشندي: المصدر السابق، ص294.

[5] العمري، المصدر السابق، ص59.

وغدامس وزويلة ومرزق وغيرها، حيث تلتقي هنالك ركب الحج المغربي فيأخذون عنهم الكثير من المبادئ الفقهية ويتتبعون منهجهم في الحج حسب طريقة بلاد المغرب المالكية، وقد تناولت العديد من المصادر العربية والإفريقية ركب الحجر السوداني وما تضمنه من عدة مادية ومعنوية، هذه الأخيرة تمثلت في العلماء الذين كانت تحويهم تلك الركاب سواء في الذهاب أو الإياب، ومن ذلك نجد إقدام الملك منسى موسى في عودته من الحج اصطحاب العالم الأندلسي الساحلي الغرناطي الذي لم يكن بناء معماري فحسب بل كان شاعرا وفقيها، ولا شك أن دوره تعدى مجرد تعريف السودانيين البناء بالطوب المحروق[1].

ومن بين من رافق منسى موسى دائما في عودته من الحج الفقيه العالم عبد الرحمن التميمي الذي سكن تمبكتو فوجدها عامرة بالفقهاء السودانيين حيث عجز عن مجاراتهم في علوم الفقه فما كان منه إلا أن توجهه إلى فاس حيث تزود وتشبع من منابعه هناك ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكتو فاستوطنها حتى وفاته، بعد أن خلف أبناء وأحفاد أسهموا بدورهم في نشر هذا المذهب[2].

أسهم علماء وفقهاء بلاد المغرب بدورهم في نشر الإسلام ومذهب الإمام مالك ولأنه كان السبق للتجار في وصول الإسلام حسب الدراسات التاريخية فان التاجر المسلم جمع بين الدعوة والتجارة، وتنقل إلينا المصادر العربية في القرن الرابع عشر ميلادي وجود بعض الدعاة المغاربة واستيطانهم في هذه الأرض، فمثلا ذكر ابن بطوطة الذي تزامن والسلطان الماضي منسى سليمان عن وجود بعض العلماء من بلاد المغرب ومنهم الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي قدم مع السلطان أثناء رحلته الحجية، حيث توجه هذا الفقيه إلى فاس من أجل التحرر أكثر في علوم الفقه المالكي ثم عاد إلى مالي مجددا[3].

وحسب ابن بطوطة، كان في مالي محلة خاصة بالبيضان من الفقهاء والتجار المغاربة والمصريين، ومنهم الشيخ الثقة أبو عباس سعيد الدكالي الذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة وكان من مصادر العمري من دولة مالي، والقاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن انسول، وهو من أهل سجلماسة

[1] الارواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2001 م، ص94-95.

[2] نفسه، ص94-95.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص665.

دخل مدينه غاو واستقر بها عدة سنوات استعمله أهل المدينة في خطة القضاء وهذا الأخير عاصر ابن خلدون وأمده بالكثير من المعلومات عن دولة مالي[1].

3- مميزات الإنتاج الفقهي المالكي لبلاد السودان وتأثيره بالفقهاء المغاربة: ارتبطت حركه التأليف والإنتاج الفقهي لبلاد السودان بمعرفته بلاد المغرب الإسلامي من حيث المظاهر الموحدة والمميزة لهذه الحركة الفقهية ويمثل القرنين السادس والسابع عشر الميلادي ذروة ما وصل إليه السودانيون في هذا المجال وهي تمثل بذلك انعكاسات أخرى لما عرفته بلاد المغرب إلا أننا نقف عند نقاط ثلاث ميزه هذه الحركة الفقهية وهي:طابع التقليد. -طابع والاختصار. -طابع الحفظ[2].

إن الفضل الأكبر في انتشار الإسلام والعربية ومن خلالهم المذهب المالكي يعود للدعاة والتجار أولا وبعدها المرابطين والطرق الصوفية كل حسب دوره واسمه كما أن العوامل السالفة الذكر لعب دورا هاما في تقبل السودانيين للمذهب المالكي دون غيره من المذاهب الأخرى.

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص665.

[2] رباديه، سنغاي في عهد الاسقين 1493-1591 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص132.

خاتمة

في الختام درستنا لموضوع النشاط الدبلوماسي بين ملوك بلاد السودان الغربي (ملوك مالي وكانم) وسلاطين بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن 8هـ/14م وتأثيراتها في مختلف المجالات، فأنه من الممكن أن نجمل عدد من النتائج التي توصل اليها البحث ومنها:

1/ الارتباط القوي بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي في جميع المجالات الدينية والعلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، حيث عاشت المنطقتان فترة تاريخية مزدهرة خلال حكم كل من المرينين وملوك دولة مالي.

2/ كما كان لسفارات والبعثات الرسمي دور فعال في مد جسور التواصل بين شمال إفريقيا وجنوبها والتي انعكست علي مجتمعاتها بالإيجاب عبر المسالك والطرق التجارية ، من خلال توفير الامن للقوافل وتجلى ذلك في توفير وتنوع السلع والمبادلات التجارية بين الضفتين بالإضافة الي ذلك استفاد بلاد السودان من خلال اندماجهم ببعضهم واستيطان الجالية المغربية بالمنطقة من الجانب الحضاري والثقافي وتفتحها على الاسلام والحضارة الاسلامية.

3/ اتجه حكام الدولتين لانتهاج وسيلة إرسال السفارات فيما بينهم وذالك لتقوية العلاقات ودعمها في جميع المجالات لأدراكهم اهمية ذلك

4/ رصد البحث كل ما اوردته المصادر التاريخية على السفارات المتبادلة ، واثارها، كما انه صحح بعض الاخطاء التى وردت لدى بعض الباحثين حولها.

5/ اعطى البحث صورة واضحة على ازدهار العلاقات لعلمية والثقافية والاجتماعية بين ممالك السوان الغربي ودول المغرب وذلك بفضل السفارات المحملة بالهدايا والاتصالات المتبادلة (التبادل الدبلوماسي)

نرجو أن نكون قد وفقنا في إبراز علاقة بلاد السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي من خلال النشاط الدبلوماسي الذي كان بينهما وتأثير هذا النشاط على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بينهما، ودور مساهمة الملوك في هذا النشاط ويبقى هذا العمل قابل لنقد والنقاش.

الملاحق

الملحق رقم 01: المراكز التجارية التي أشتهرت بتجارة الذهب والملح

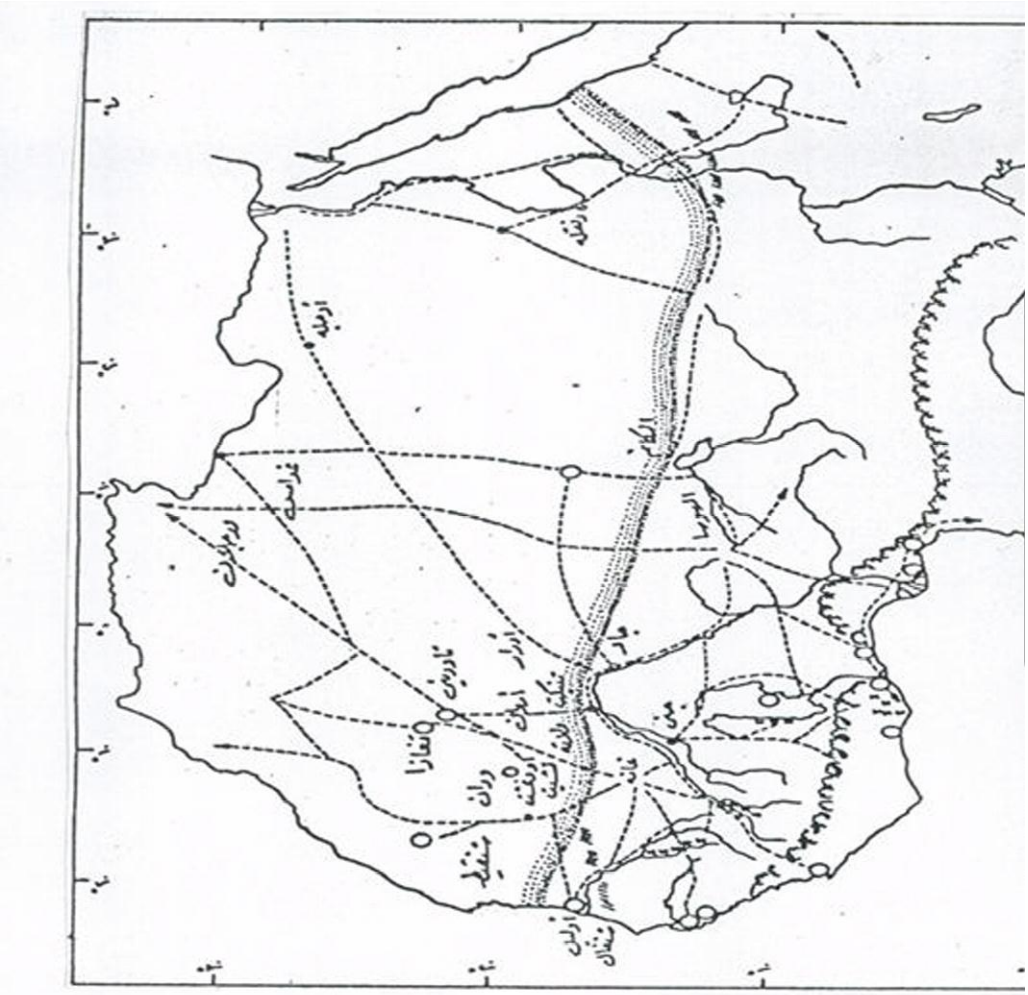

شكل رقم (٨)

المراكز التجارية التى اشتهرت بتجارة الذهب والملح

المصدر : ج، دافيس

الملحق رقم 02: المحاور التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي فيما بين القرن 10 و العاشر والسادس.

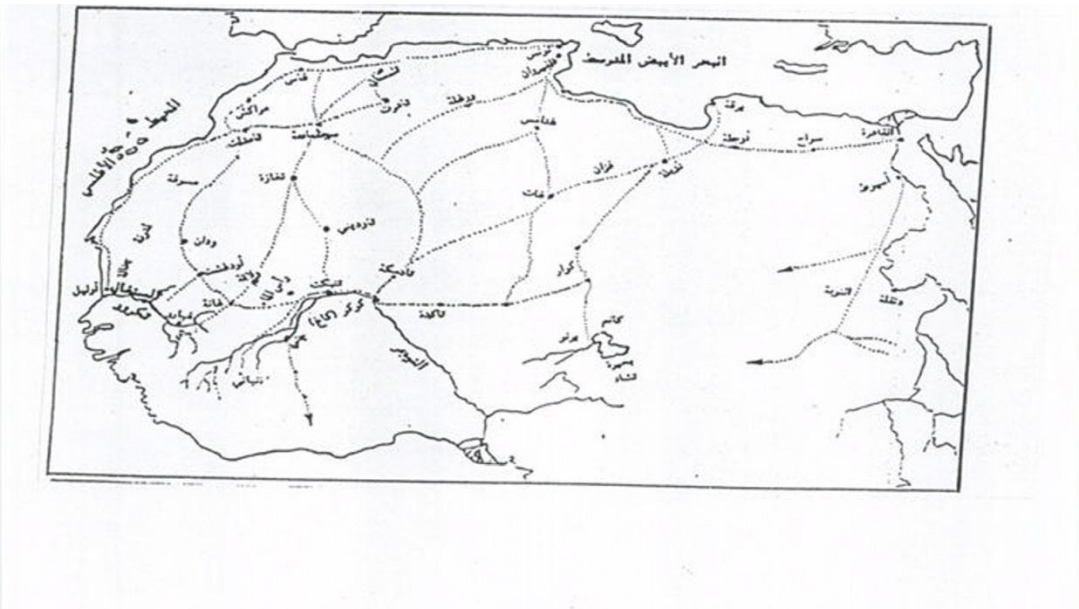

الملحق رقم 03: مناطق إنتاج الذهب في السودان الغربي

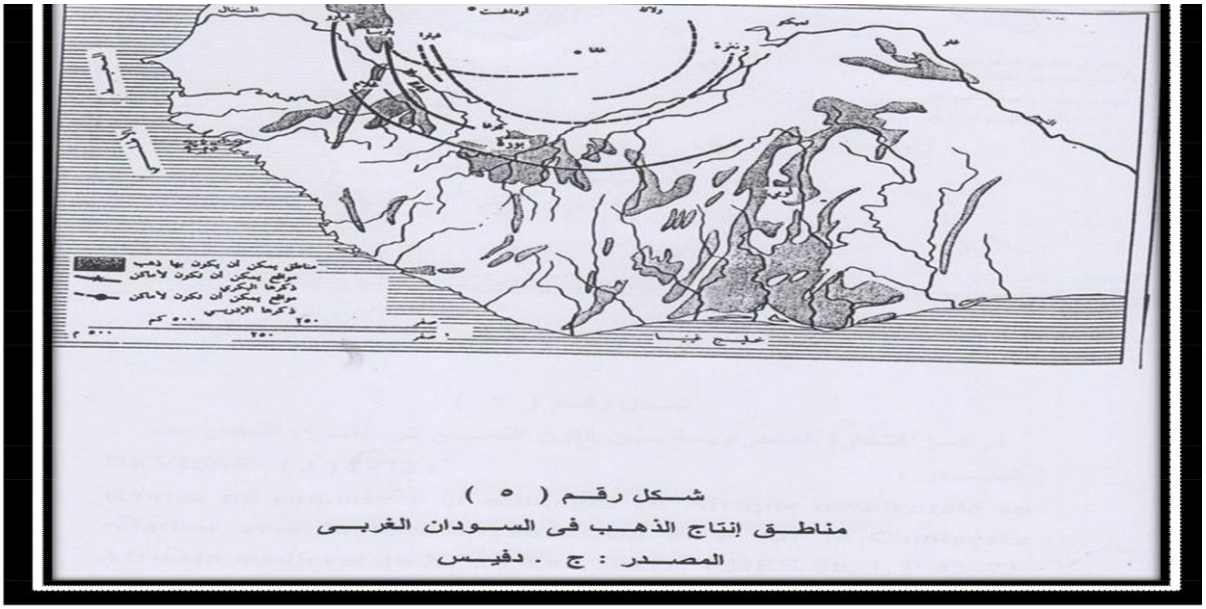

المصدر :ج، دافيس

الملحق رقم 04: ألواح الملح المنتج الرئيسي في التجارة الصحراوية

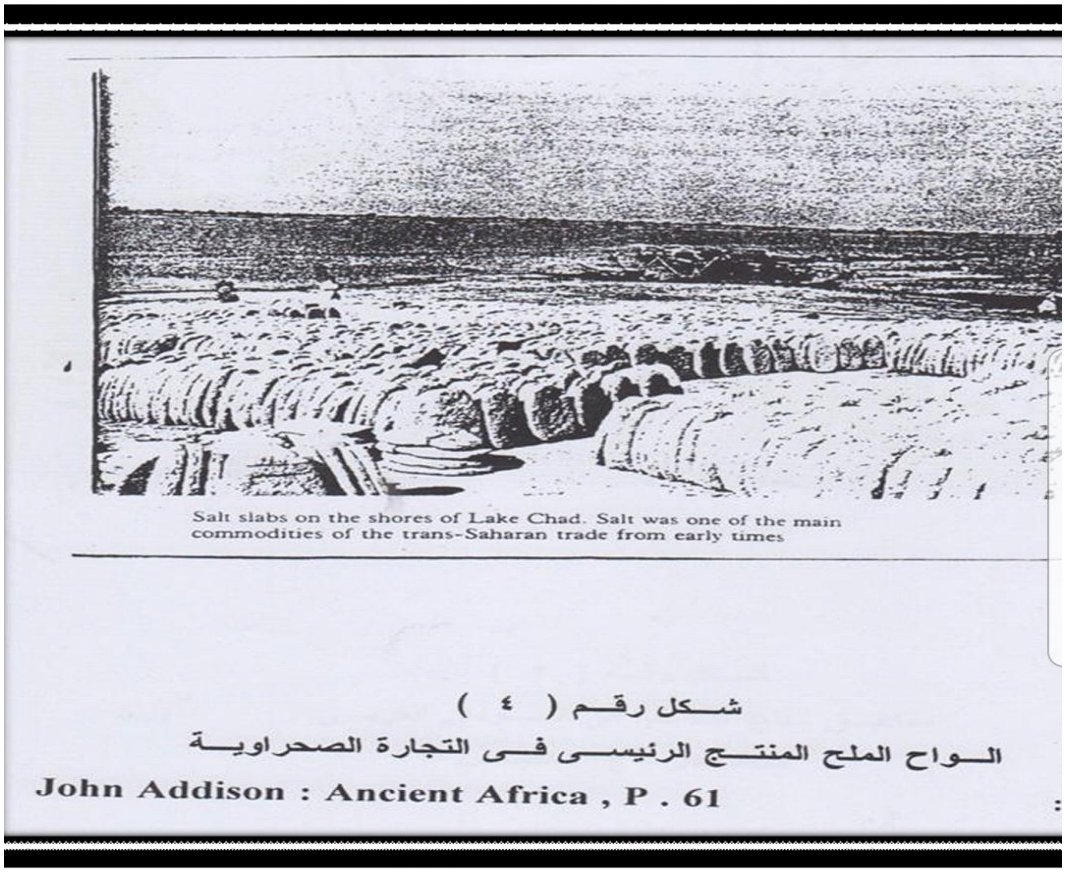

Salt slabs on the shores of Lake Chad. Salt was one of the main commodities of the trans-Saharan trade from early times

شـــكل رقـــم (٤)

الـــواح الملح المنتـــج الرئيســـى فـــى التجارة الصحراويـــة

John Addison : Ancient Africa , P . 61

الملحق رقم 05: أهم دول غرب افريقية في القرن الثامن الهجري

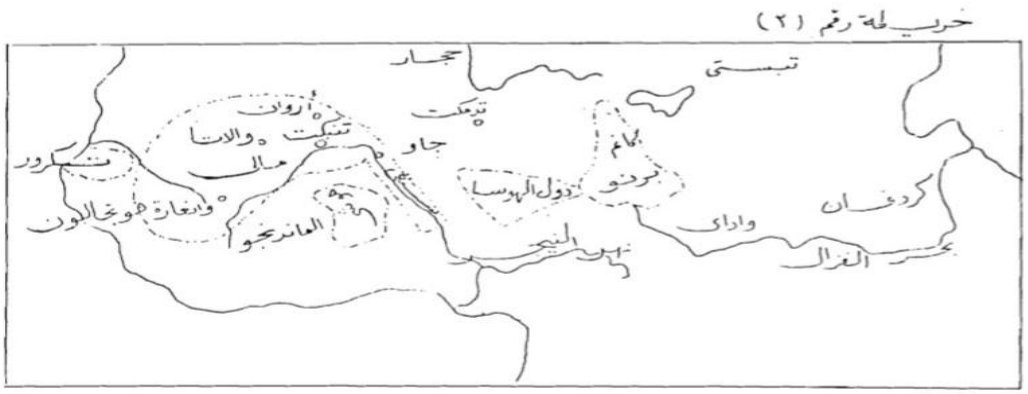

أهم دول غرب إفريقية في القرن الثامن الهجري (١٤ م)

قائمة المصادر والمراجع

أولا– المصادر

1–ابن بطوطة أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبراهيم اللواتي الطنجي: رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأسفار، ط1322،1هنج2.

2–ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العبر والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 1431هـ،–2000م، ج6.

3–ابن الخطيب لسان الدين :الإحاطة في أخبار غرناطة ،القاهرة ، 1973.

4–ابن حوقل ابو القاسم صورة الارض ،دار بيروت، دار مكتبة الحياة 1992.

5–الإدريسي الشريف أبي عبد الله محمد بن عبد الله إدريس الحموي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ج1 .

6–البكري أبي عبيد: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة

7–السعدي عبد الرحمان عبد الله بن عمران بن عامر: تاريخ السودان ،مدرسة اللغة العربية ،باريس ،1981.

8–السلاوي أبو العباس الناصري : الاستقسا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق :جعفر الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية ،1954م،ج2.

9–العمري ابن فضل الله شهاب الدين أبي عباس أحمد بن يحي: مسالك الأنصار في ممالك الأمصار، المركز زايد للتراث والتاريخ ،ج4، 2001.

10– القلقشندي أبي العباس أحمد : صبح الأعشى ، دار الكتب الخديوية ، المطبعة الاميرية ،القاهرة ،1915،ج5.

11-القزويني زكرياء بن محمد بن محمود ،أثار البلاد وأخبار العباد دار صادر ،بيروت .

12-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار المغرب الخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم ومديحه الشرقاوي، مكتبة المدبولي، مطابع دار الأمين ، القاهرة،1948م، ج3.

14-المقريزي تقي الدين :الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك : تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 1420-2000م.

15-الوزان حسن: وصف إفريقيا، ترجمة ممد حجي ، محمد الأخضر، دار العرب الإسلامي، الطبعة الثانية،ج2.

16-كعت محمود : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكبار الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتقرير أنساب العبيد من الأحرار، مؤسسة الرسالة ناشرون ،بيروت ،لبنان ،ط1، 143هـ-214م.

ثانيا-المراجع

1/ أحمد موسى عز الدين: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ،د ار الشروق ،بيروت،ط1 ،1983م.

2/الغربي محمد:بداية الحكم العربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج لطباعة والنشر ، بغداد،1982م

3/المراكشي إبن عذاري: البيان المغربي في أخبارالاندلس والمغرب ، ترجمة: ليفي بروفنسال وج.س كولان، دار الثقافة، بيروت، 1983،ط3،ج1.

4/باري محمدفاضل على ، كريديدسعيدأبراهيم:المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007

5/بلوم ندنيس :الحضارت الافريقية، ترجمة علي شهين ، منشورات دار مكتبة الحياة، 1977.

6/بوعزيزي يحي:تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى القرن العشرين، دار البصائر لنشر والتوزيع،طبعة خاصة ،2009م

7/جوزيف جوان : الاسلام في ممالك وأمبراطورية أفريقيا السوداء، دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة،بيروت ،ط1 ،1404م

8/حميدي جعفر عباس :تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع ،عمان،ط1 ،1422،202

9/حسن حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام السياسيوالديني والثقافي والاجتماعي ، ج4 ،العصر العباسي الثاني ، دار الجبل ،بيروت ، دار النهضة المصرية بالقاهرة،طبعة1412،14هـ.

10/الدالى الهادي مبروك:التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيماوراء الصحراء، 15م الى 18م،دار المصرية اللبنانية،ط1، 1999

11/الدالى الهادي المبروك:مملكة مالى الاسلامية وعلاقتها مع المغرب علاقتها مع المغرب وليبيا، ط1 ،دار الملتقى لطباعة والنشر،بيروت، 2001م

12/الزركلي خير الدين:الاعلام،دارالعلم للملايين،بيروت،ط15، ج07، 2002

13/رزق الله احمد المهدي : حركة التجارة والتعليم الاسلامي في غرب إفريقياقبل الاستعمار وأثارها الحضارية ،مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ،الرياض،ط1، 1419هـ -1998م

14/ زبادية عبد القادر :الحضارة العربية والتأثير الاؤربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، الموئسسة للفنون ، الجزائر ،1989م

15/زكى عبد الرحمان :الاسلام والمسلمون ي غرب إفريقيا،مطبعة يوسف ، د.ت.

16/شعباني نور الدين : محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر،2015.

17/شكري أحمد المجتمع السوداني، إمبراطورية مالي ،1230-1430م، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1999.

18/ابراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، دراسات في التاريخ القومي والإفريقي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973.

19/ العربي اسماعيل :الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب ، زيغود يوسف، الجزائر، 1983.

20/ فيج.جي.دي: تاريخ إفريقيا ترجمة النصر ، بهجة رياض صليب، دار المعارف، القاهرة ،ط1982،1.

21/فيصل محمد موسى : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، 1991/الفلاتي الطيب عبد الرحيم محمد: الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان ،دار الكتاب الحديث، الكويت ، ط1، 1455هـ/1994م.

22/قديح نعيم : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

23/المنجد صلاح الدين : مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان،1406هـ1982م.

24/يحي جلال: تاريخ أفريقيا الحدث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الأسكندرية، 1999م.

25/ابراهيم محمد الاصطخري : المسالك والممالك ، بيروت ، دار قادر ، دت.

ثالثا/ الرسائل الجامعية :

1-الفاجالو محمد: الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1464-1591م، رسالة ماجيستير في الحضارة والنظم الاسلامية، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1413هـ1993م.

2-شعباني نور الدين: دور عائلة كيتا في مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع الهجري الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، أطروحة الدكتور في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سعيدة، 2017/2016م.

3-مقاديم عبد الحميد: المدراس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي "مالي وسنغاي" ،أطروحة دكتور في التاريخ والحضارة الإسلامية .

4-مزري بسمة: الجاليات المغربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنيين 5هـ-10هـ/11م-16م، مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قالمة، 2016-2017م.

5-مليكة: دور أسرة سوانديانا كيتا في تأسيس مملكة مالي الاسلامية إرساء دعائمها في السودان الغربي من القرن 5هـ/8م/11م/14م، مذكرة ماستر في التاريخ ،2017-2018.

رابعا/ المجلات والمؤتمرات:

1-عابد سفيان: مملكة مالي في عهد الملك منسى موسى"1312-1337م، مجلة الدراسات الأفريقية بالجزائر.

2-نور الدين شعباني: الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، العدد4.

3-محمد أمين: المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية ، جامعة الدعوة الاسلامية العالمية ليبيا، 7-6ذو القعدة 1427هـ/27-26 نوفمبر2006م.

4-السفارات المتبادلة بين المغرب الاسلامي وبلاد السودان خلال الفترة 3-9هـ/ 9-15م محمد العيد ديتة.

5مجلة دراسات وأبحاث كلية علوم إنسانية وإجتماعية، مجلد 12، عدد1 جانفي 2020

6-رضوان هواري: التطور السوسيو اقتصادي في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط قراة في الاسباب والعوامل مقال.

7مؤتمر طرق الحج في إفريقيا لأثر رحلات الحج في نشؤ الوظائف والمؤسسات.

الفهارس

فهرس الأعلام

الادريسي	80-54-05
ابن فضل الله العمري	-23-16-05 80-74-72
ابن خلدون	28-02
ابو عبد الله	74-67
ابي اسحاق الساحلي	74-64-44
ابي العباس احمد بن علي القافيلي	67-24
ابو الحسن علي بن امير حاجب	36
الحموي	80-53-15
الحسن المريني	34-32-30
دونماي دوياتمن	55.57
عبدالرحمان السعدي	6-5
القلقشندي	81-58-6-5
القزويني	81-51-41
المقريزي	81
محمد ابن بطوطة	35-34-33
محمود كعت	05
منسا موسى	-31-30-12 -43-39-35 67-66
منسا سليمان	-32-12-10 67-66-34
اليعقوبي	53-15-5
عقبة بن نافع	50

فهرس الأماكن

السودان الغربي	37-36-34
السودان الشرقي	43-42
الصحراء الكبرى	13-10
صنهاجة	08
غدامس	53-52-41
قبائل الماندجو	45-14
قبائل الفولانيين	13-09
كوكيا	43-07
كومبي صالح	43
مالي	35.33.15.10.7
موريتانيا	07
مراكش	20-16
مصر	33-19
المحيط الاطلسي	10-9-6
نيجيريا	6
النيجر	15.13.10
غامبيا	30-7
سنغال	33.31.9
برنو	9.8
السودان	33.19.11.8
تكرور	12.11.8

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة:..... **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الاول: تطور العلاقات السياسية بين كلا من ملوك مالي وكان ودول بلاد المغرب

..... **Erreur ! Signet non défini.**

المبحث الأول : لمحة عن كلا من: مملكة مالي وكانم ومعاصرتيهما للدولة المارينية والحفصية..... 5

المطلب الأول: لمحة عن مملكة مالي ومملكة كانم 5

أولاً: أصل التسمية:..... 5

1.الموقع الجغرافي:..... 6

2.التركيبة الاجتماعية للمملكة :.....10

3.تاسيس مملكة مالي: 7

4.انتشار الإسلام في مملكة مالي : 12

ثانيا: لكانم في المصادر العربية 14

1- ظهور ونشأة مملكة كانم –برنو479هـ-1262م/1086م-1846م.....15

2-كانم في عهد الزغاوة:.....17

3-مملكة كانم في عهد السيفيين:.....17

المطلب الثاني: قيام الدولة الحفصية والمرينية بالمغرب الادنى. 19

1-أصل بني حفص ونسبهم:.....19

2 -ظروف تأسيس الدولة الحفصية.....20

3-المراحل الكبرى للدولة الحفصية :.....22

4-نشأة الدولة المرينية بالمغرب الأقصى 668هـ/1269م.....24

ويذكر محمد بن مرزوق التلمساني أن بني مرين ملكوا من حد بلاد إلى ناحية المغرب فامتد ملكهم من بلاد تاهرت و أحواز تلمسان ثم امتد إلى ناحية المغرب 25

المبحث الثاني : السفارات المتبادلة بين دول المغرب وملوك بلاد السودان الغربي.....27

المطلب الأول: سفارات ملوك كام مع سلاطين الدولة الحفصية.....27

1) هدية الملك دونمة إلى السلطان المستنصر 27

2) سبب العلاقة بين الطرفين ..... **Erreur ! Signet non défini.**

3) دور وأهمية هذه السفارة المتبادلة بين الطرفين.....28

المطلب الثاني: سفارة ملوك مالي وسلاطين المريين والزيانيين 29

أولاً: تبادل السفارات بين ملوك مالي وسلاطين المريين.....29

1-أسباب تطور العلاقة.....29

2-السفارات المتبادلة 30

ثانياً: سفارة الدولة الزيانية 34

الفصل الثاني: أثر النشاط الدبلوماسي بين الطرفين في مختلف المجالات .. **Erreur ! Signet non défini.**

المبحث الأول: التأثيرات على بلاد السودان.....38

المطلب الأول: المجال الاقتصادي و الاجتماعي.....38

المطلب الثاني : المجال الثقافي والديني. 42

1-المجال الدين.....42

2-الجانب الديني:.....44

المطلب الثالث: الجانب الثقافي لمملكة كانم 45

1-الجانب الديني لمملكة كانم:.....46

المبحث الثاني : تأثيرات العلاقات الدبلوماسية لبلاد السودان على دول المغرب.....47

المطلب الأول تأثيرها في المجال الاقتصادي والاجتماعي.....48

أولا: تأثر دول المغرب ألادنى بكانم 48

ثانياً:تأثر دول المغرب الاقصى بامالي إقتصاياً.....54

المطلب الثاني: تأثير السفارات في المجال العلمي والثقافي لبلاد المغرب على بلاد السودان.....64

أولاً: التعليم.....64

ثانياً:: كيف وصل المذهب المالكي الى بلاد السودان وما عوامل انتشاره؟.....67

خاتمة:..... **Erreur ! Signet non défini.**

الملاحق.....76

قائمة المصادر والمراجع.....80

الفهارس 87

فهرس الأعلام.....88

فهرس الأماكن 89

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة الى إماطة اللثام عن العلاقات الدبلوماسية أو ما يعرف بالسفارات بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين/ التاسع والخامس عشر الميلاديين، ومن خلال رصدنا لها مع السرد والتحليل لمجرياتها خلصنا إلى النتائج التالية:

أن السفارات ظهرت وشهدت تطورا ملحوظا خلال القرن الثالث هجري الى منتصف القرن الخامس هجري وزداد تطورها بعد تفكك دول المغرب الاسلامي إلى دويلات مستقلة فيما بينها في منتصف القرن السابع هجري إلى القرن التاسع، وذلك بظهور علاقات خارجية خاصة مع دول بلاد السودان الغربي من خلال السفارات المتبادلة بينهما.

Abstact:

This study aims to reveal the findings of diplonatisc missions or embassies between the Islamisc Maghreb and sudan during the period between the 3 ardi and 9th centuries Hijri/9th and 15th senturies AD .BY monitoring it with the narration and analysis of its course we sonsleded the following conclesionsmthes the embassies emerged and witnessed a remarkable development from the third century AH to the middle of the fifth sentury . and development it otstaining external relations especially with thwesterm sudan through the embassies are their headqorporters.